جامعة الأزهر
كلية اللغة العربية بأسيوط
المجلة العلمية

موقف الشيعة من الغزو المغولي لبغداد سنة (٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م) من خلال الكتابات الشيعية

The Shiite Position On The Mongol Invasion Of Baghdad (656 AH/ 1258 AD) In Shiite Writings

إعداد

د. محمود علي عبد الله علي

مدرس التاريخ والحضارة الإسلامية بالكلية

(العدد الثالث والأربعون)
(الإصدار الثالث-أغسطس)
(الجزء الرابع (١٤٤٦هـ/٢٠٢٤م)

الترقيم الدولي للمجلة (ISSN) *2536- 9083*
رقم الإيداع بدار الكتب المصرية: ٢٠٢٤/٦٢٧١م

موقف الشيعة من الغزو المغولي لبغداد سنة (٦٥٦ هـ/ ١٢٥٨م) من خلال الكتابات الشيعية

د/ محمود علي عبدالله علي

قسم التاريخ والحضارة، كلية اللغة العربية، جامعة الأزهر بأسيوط، مصر.

البريد الإلكتروني: *mahmoudali.47@azhar.edu.eg*

الملخص:

تباينت الكتابات الشيعية عند تناولها لغزو المغول لبغداد سنة (٦٥٦ هـ/ ١٢٥٨م)، وموقف الشيعة منه: فهناك من اعترف بتعاون الشيعة معهم في صور شتى، ومواقف متعددة، منها: مكاتبة الوزير مؤيد الدين بن العلقمي للمغول، وترغيبهم في غزوها، وذهاب بعضهم إلى هولاكو؛ لطلب الأمان، وقيام مجد الدين بن طاووس بتصنيف كتاب البشارة وإهدائه إلى هولاكو، وإفتاء رضي الدين علي بن طاووس بتفضيل الحاكم الكافر العادل على المسلم الجائر، وإظهار الشيعة في كتاباتهم الفرح والسرور بالقضاء على الخلافة العباسية، والدعاء للغزو المغول ببقاء دولتهم وحفظها.

وعلى الجانب الآخر، نجد أن هناك الكثير من الكتابات الشيعية تدفع هذا الاتهامات، وتهاجم من اتهمهم بالتآمر ضد الخلافة العباسية، من ذلك: دفاعهم عن الوزير مؤيد الدين بن العلقمي، والرد على مسألة مكاتبته للمغول، وتعاونه معهم، ونفي كون حادثة الكرخ هي سبب قدوم المغول، أو أن ابن العلقمي هو من قام بتسريح معظم الجند، وكذلك ما قيل عن محاولات نقل الخلافة إلى العلويين، ومسؤولية نصير الدين الطوسي عن مقتل الخليفة العباسي المستعصم بالله.

الكلمات المفتاحية : الشيعة، المغول، الكتابات الشيعية، بغداد، الخليفة المستعصم .

The Shiite position on the Mongol invasion of Baghdad*(656 AH/ 1258 AD)* In Shiite writings

Dr. Mahmoud Ali Abdullah Ali
Department of History and Civilization , Faculty of Arabic Language , Al-Azhar University in Assiut , Egypt.

E.mail*: mahmoudali.47@azhar.edu.eg*

Abstract:

Shiite writings varied when they dealt with the Mongols' invasion of Baghdad (656 AH/ 1258 AD), and the Shiite position on it: There were those who acknowledged the cooperation of the Shiites with them in various forms, and multiple positions, including: Minister Mu'ayyad al-Din bin Al-Alqami writing to the Mongols, encouraging them to invade it, and some of them leaving. To Hulagu; To seek safety, and Majd al-Din Ibn Tawus compiled the Book of Good News and dedicated it to Hulagu, and Razi al-Din Ali Ibn Tawus issued a fatwa favoring the just infidel ruler over the unjust Muslim, and the Shiites showed in their writings joy and pleasure in eliminating the Abbasid Caliphate, and prayed for the Mongol invasion for the survival and preservation of their state.

On the other hand, we find that there are many Shiite writings that push these accusations, and attack those who accused them of conspiring against the Abbasid Caliphate, including: their defense of the minister Muayyad al-Din ibn al-Alqami, and the response to the issue of his correspondence with the Mongols and his cooperation with them, and denying that the Karkh incident was the reason for the arrival of The Mongols, or that Ibn al-Alqami was the one who demobilized most of the soldiers, as well as what was said about the attempts to transfer the caliphate to the Alawites, and the responsibility of Nasir al-Din al-Tusi for the killing of the Abbasid Caliph al-Mustasim Billah.

Keywords: ***Shiites , Mongols , Shiite writings , Baghdad , Caliph Al-Mustasim.***

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، سيدنا محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم أجمعين.

وبعد

فلا شك أن سقوط بغداد في أيدي المغول سنة (٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م) كان له صدى واسع بين المؤرخين المعاصرين والمتأخرين، الذين تناولوه في كتبهم، وسجلوه بأيديهم، ثم جاء الباحثون من بعدهم، فأخذوا هذه الأحداث، وتناولوها بأقلامهم بالتحليل والنقد، فخرجت دراسات عديدة، تعالج هذا الموضوع.

غير أن معظم هؤلاء الباحثين اعتمدوا في كتاباتهم على كتب المؤرخين السُّنة، ولم يعتمدوا على كتب الشيعة؛ حتى تتبين لهم الأمور وتتضح، ويتعرفوا على وجهة كل طرف، ومدى رؤيتهم لهذه الأحداث، خاصة وأن هناك بعض الاتهامات التي وُجهت للشيعة، والتي كانت في مجملها تدور حول تعاونهم مع المغول؛ للقضاء على الخلافة العباسية السُّنية.

ومن هنا، فقد عملت هذه الدراسة على دراسة موقف الشيعة من الغزو المغولي لبغداد، وذلك من خلال كتابات الشيعة أنفسهم، ومدى معالجتهم لهذا الأمر، ولم يقتصر الأمر على دراسة المصادر فقط، بل والمراجع أيضًا، وكذلك لم تعتمد الدراسة على المؤلفات التاريخية فحسب، بل عملت على الرجوع إلى المؤلفات الشيعية الأخرى، والتي ظهرت من بين ثناياها بعض المادة العلمية، التي لم نستطع العثور عليها في غيرها من المؤلفات.

هذا، وقد تباينت الكتابات الشيعية عند تناولها لغزو المغول لبغداد سنة (٦٥٦هـ/ ١٢٥٨ م)، وموقف الشيعة منه: فهناك من اعترف بتعاون الشيعة معهم

في صور شتى، ومواقف متعددة، منها: مكاتبة الوزير مؤيد الدين بن العلقمي للمغول، وترغيبهم في غزوها، وذهاب بعضهم إلى هولاكو؛ لطلب الأمان، وقيام مجد الدين بن طاووس بتصنيف كتاب "البشارة"، وإهدائه إلى هولاكو، وإفتاء رضي الدين علي بن طاووس بتفضيل الحاكم الكافر العادل على المسلم الجائر، وإظهار الشيعة في كتاباتهم الفرح والسرور بالقضاء على الخلافة العباسية، والدعاء للغزاة المغول ببقاء دولتهم وحفظها.

وعلى الجانب الآخر، نجد أن هناك الكثير من الكتابات الشيعية تدفع هذا الاتهامات، وتهاجم من اتهمهم بالتآمر ضد الخلافة العباسية، من ذلك: دفاعهم عن الوزير مؤيد الدين بن العلقمي، والرد على مسألة مكاتبته للمغول، وتعاونه معهم، ونفي كون حادثة الكرخ هي سبب قدوم المغول، أو أن ابن العلقمي هو من قام بتسريح معظم الجند، وكذلك ما قيل عن محاولات نقل الخلافة إلى العلويين، ومسؤولية نصير الدين الطوسي عن مقتل الخليفة العباسي المستعصم بالله.

وعلى هذا، فقد وقع اختياري على موضوع «موقف الشيعة من الغزو المغولي لبغداد سنة (٦٥٦ هـ/ ١٢٥٨م) من خلال الكتابات الشيعية»، خاصة وأن أقلام الباحثين لم تتناول بشكل كافٍ هذه الجزئية، رغم أهميتها في التعرف على موقف الشيعة من خلال كتابات الشيعة أنفسهم.

وقد اعتمد الباحث في هذا البحث على المنهج التاريخي، الذي يقوم على قراءة المصادر المتاحة، واستخراج النصوص المتعلقة بالموضوع، وتحليلها .

الدراسات السابقة:

- غسان محمود وشاح: موقف الشيعة من غزو المغول للعراق (٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م)، رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية، غزة، ٢٠٠٧م.

وقد تناول الباحث فيها أوضاع الخلافة العباسية قبيل الغزو المغولي، كما تحدث عن العلاقات الشيعية المغولية قبيل سقوط الخلافة، ثم موقف الشيعة من غزو المغول للعراق، وأخيرًا علاقة الشيعة بالمحتل المغولي للعراق، غير أن الباحث أغفل الاعتماد على بعض مصادر الشيعة المهمة، والتي منها: العلامة الحلي (ت٧٢٦ هـ/ ١٣٢٦م): في كتابيه "إرشاد الأذهان إلى أحكام الإيمان" و" نهج الحق وكشف الصدق"، وكذلك رضي الدين بن طاووس (ت ٦٦٤ هـ/ ١٢٦٦م) في كتابيه: " إقبال الأعمال" و" كشف المحجة لثمرة المهجة "... وغيرها.

– د/ سعد بن محمد حذيفة الغامدي: سقوط الدولة العباسية ودور الشيعة بين الحقيقة والاتهام، دار ابن حذيفة، الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

وقد تناول فيه نشأة الإمبراطورية المغولية، وغزوهم للدولة الخوارزمية، كما تحدث عن أوضاع الخلافة العباسية، وفي الفصل الأخير تحدث عن سقوط بغداد على أيدي المغول، وعمل على الدفاع عن الشيعة، ورد الاتهامات عنهم، غير أنه لم يعتمد في ذلك على شيء من كتاباتهم، وإنما كان كل اعتماده على المصادر العربية السُّنية والفارسية.

هذا بالإضافة إلى بعض المؤلفات الأخرى، والتي منها: علي الكوراني العاملي: كيف رد الشيعة على غزو المغول، دار الهدى، قم، الطبعة الأولى، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م. وأيضًا خميس بن علي بن يوسف الرواجي: موقف العلماء المسلمين في العراق وبلاد الشام من الغزو المغولي، رسالة ماجستير، كلية الآداب والعلوم الإسلامية، جامعة آل البيت، الأردن ١٤٣٢هـ/٢٠١١م. وكذلك شعبان فاضل إبراهيم: الموقف العام للمسلمين من سقوط بغداد، مجلة جامعة دهوك، مجلد ٢٦، العدد (٢) ، ١٤٤٤هـ/ ٢٠٢٣م.

خطة البحث:

هذا، وقد اقتضت طبيعة هذا البحث أن يأتي في: مقدمة، ومبحثين، وخاتمة، وقائمة للمصادر والمراجع، وذلك على النحو التالي:

المقدمة: وقد اشتملت على: أهمية الموضوع، والدراسات السابقة، وخطة البحث.

المبحث الأول: صور التعاون الشيعي مع المغول في الكتابات الشيعية.

المبحث الثاني: موقف الشيعة من كتابات المؤرخين السُّنة.

الخاتمة : وتحتوي على أهم النتائج التي جاءت في ثنايا البحث.

فهرس المصادر والمراجع: حيث ذيَّلت البحث بقائمة المصادر والمراجع التي استقيت منها المادة العلمية.

والله من وراء القصد، وهو يهدي السبيل

الباحث

المبحث الأول

صور التعاون الشيعي مع المغول في الكتابات الشيعية

اختلفت كتابات الشيعة عند تناولهم لسقوط بغداد في أيدي المغول سنة (٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م)، ومدى تعاون الشيعة معهم، ففي الوقت الذي جزم مؤرخو السنة فيه بتعاون الشيعة مع المغول؛ في سبيل القضاء على الخلافة العباسية، نجد أن هناك تباينًا واضحًا في كتابات الشيعة: ما بين الاعتراف ببعض المواقف التي تؤكد تعاونهم مع المغول، ومساعدتهم لهم، وما بين إنكار لما ورد في كتابات المؤرخين الآخرين، والرد عليهم، ودفع التهم عن أنفسهم.

وفي هذا المبحث سنتناول صور تعاون الشيعة مع المغول، من خلال مصادرهم ومراجعهم المختلفة، ومقارنة ذلك مع المصادر الأخرى، وذلك على النحو التالي:

أولًا: مكاتبة مؤيد الدين بن العلقمي[(١)] للمغول:

كان للوزير مؤيد الدين بن العلقمي مكانة كبيرة لدى الشيعة، إذ كان من أكابر الشيعة في ذلك الوقت[(٢)]، ولعل مما يؤكد هذه المكانة، ما ذكره ابن أبي الحديد (ت ٦٥٦ هـ/ ١٢٥٨م) الذي أهدى إليه كتابه " شرح نهج البلاغة "، والذي كان حظيًا عند ابن العلقمي؛ لما بينهما من المناسبة والمقاربة والمشابهة في التشيع

---

(١) مؤيد الدين بن العلقمي: هو أبوطالب محمد بن محمد بن علي، وزير الخليفة العباسي المستعصم بالله، وُلي الوزارة أربعة عشر عامًا، أرسل إلى المغول؛ ورغَّبهم في الاستيلاء على بغداد، غير أنه ندم بعد ذلك؛ لأنه عومل بكل أنواع الهوان من أراذل المغول، مات في سنة ٦٥٧هـ/ ١٢٥٩ م. الكتبي (محمد بن شاكر ت ٧٦٤هـ/ ١٣٦٢م): فوات الوفيات والذيل عليها، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، بدون تاريخ، جـ٣، ص٢٥٢ – ٢٥٣.

(٢) محمد باقر الأصبهاني الخوانساري: روضات الجنات في أحوال العلماء والسادات، الدار الإسلامية، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م، جـ٦، ص ٢٩٢.

والأدب والفضيلة[١]، حيث قال: " ولا عجب أن يتقرب بسيد الكتب إلى سيد الملوك، وبجامع الفضائل إلى جامع المناقب، وبواحد العصر إلى أوحد الدهر، فالأشياء بأمثالها أليق، وإلى أشكالها أقرب، وشبه الشيء إليه منجذب، ونحوه دانٍ ومقترب"[٢].

أما عن موقفه من المغول، فقد ذكر الكثير من المؤرخين السُّنة أنه كاتب المغول، وأطمعهم في البلاد، وسهَّل عليهم ملك العراق[٣]، بل وأخذ يخبر هولاكو

(١) ابن كثير (عماد الدين أبوالفدا إسماعيل بن عمر ت ٧٧٤ هـ/ ١٣٧٢م): البداية النهاية، تحقيق: عبد الله عبد المحسن التركي، دار هجر، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م، جـ١٧، ٣٥٤.

(٢) شرح نهج البلاغة، تحقيق: محمد إبراهيم، دار الكتاب العربي، بغداد، الطبعة الأولى، ١٤٢٨ هـ/ ٢٠٠٧م، جـ١، ص٥.

(٣) اليونيني (قطب الدين أبو الفتح موسى بن محمد ت ٧٢٦ هـ/ ١٣٢٦ م): ذيل مرآة الزمان، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن، الهند، ١٣٧٤ هـ/ ١٩٥٤م، مج١، ص ٨٧. أبو الفدا (عماد الدين إسماعيل بن علي ت ٧٣٢هـ/ ١٣٣١ م): المختصر في أخبار البشر، تحقيق: محمد زينهم عزب، يحيى سيد حسين، دار المعارف، القاهرة، بدون تاريخ، جـ٣، ص٢٣٣. الذهبي (شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان ت ٧٤٨ هـ/ ١٣٤٧ م): تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق: عمر عبدالسلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٩ هـ/ ١٩٩٩م، جـ ٤٨، ص٣٤. الغساني (الملك الأشرف الغساني ت ٧٦١ هـ/ ١٣٦٠م): العسجد المسبوك والجوهر المحكوك في طبقات الخلفاء والملوك، تحقيق: شاكر محمود عبدالمنعم، دار البيان، بغداد، ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م، جـ ٢، ص ٦٢٦، ابن تغري بردي (جمال الدين أبوالمحاسن يوسف بن تغري بردي ت ٨٧٤ هـ/ ١٤٦٩م): النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م، جـ ٧، ص ٤٣.

بأخبارها، ويعرفه بصور أخذها، وبضعفِ الخليفة، وانحلال العسكر عنه[١]؛ وهو ما جعل البعض يعد استيلاء المغول على بغداد إنما تم بمكيدة دبرت مع الوزير ابن العلقمي[٢].

وعلى الرغم من أن الشيعة نفوا هذا الأمر في كتاباتهم، وحاولوا دفع هذه التهم عنه على ما سيأتي ذكر في المبحث الثاني، إلا أن هناك من اعترف بهذا صراحة، ومن هؤلاء التستري[٣] (ت ١٠١٩هـ/ ١٦١٠م) الذي ذكر أن مؤيد الدين بن العلقمي أرسل إلى نصير الدين الطوسي[٤] وإلى هولاكو كتابًا، ورغبهما في غزو بغداد،

---

(١) العصامي المكي (عبدالملك بن حسين بن عبدالملك الشافعي ت ١١١١ هـ/ ١٦٩٩م): سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي، تحقيق: عادل أحمد عبدالموجود، علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٩ هـ/ ١٩٩٨ م، جـ ٣، ص ٥١٨.

(٢) أبو شامة (شهاب الدين أبو محمد عبدالرحمن بن إسماعيل ت ٦٦٥هـ/ ١٢٦٧م): تراجم رجال القرنين السادس والسابع المعروف بـ" الذيل على الروضتين "، تحقيق: محمد زاهد بن الحسن الكوثري، دار الجيل، بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م، ص١٩٩.

(٣) التستري: هو نور الله بن شريف الدِّين عبد الله بن ضياء الدين نور الله بن محمد شاه المرعشي التستري، من علماء الإمامية، كان ينعت بالقاضي ضياء الدين، من أهل تستر، رحل إلى الهند، فولاه السلطان "أكبر شاه " قضاء القضاة، بلاهور، واشترط عليه ألاَّ يخرج في أحكامه عن المذاهب الأربعة، فاستمر إلى أن أظهر غير ذلك، فقتل تحت السياط في مدينة أكبر أباد،له ٩٧ كتابا ورسالة. خير الدين الزركلي: الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الخامسة عشرة، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م، جـ٨، ص٥٢.

(٤) نصير الدين الطوسي: هو محمد بن محمد بن الحسن الفيلسوف، ولد بطوس سنة ٥٩٧ هـ، كان عالمًا في الرياضة وعلم الأوائل وخاصة الأرصاد والمجسطي، وتوفي في ذي الحجة سنة ٦٧٢ هـ ببغداد، ودفن في مشهد الكاظم. الكتبي: فوات الوفيات، جـ٢، ص٢٣٠، ٢٣١. حاجي خليفة (مصطفى بن عبد الله القسطنطيني العثماني ت ١٠٦٧ هـ/ ١٦٥٧م): سلم الوصول إلى ←←←

والانتقام من " تنمر العباسيين على عترة سيد الأنام عليه الصلام والسلام"[١]، وهو يقصد بذلك علي ابن أبي طالب.

وقد برَّر الطهراني[٢] (ت ١٣٨٩هـ/ ١٩٦٩م) ما أقدم عليه ابن العلقمي، وذلك اللَّوم الذي وُجه إليه من مؤرخي السُّنة، بأنه كان عليهم أن يوجهوا اللَّوم إلى شيوخهم، وليس ابن العلقمي، واعتبر أنه بذلك خفف الدمار عنهم، وأنه لو لم يكن دهاء ابن العلقمي لما اختلف مصير بغداد عن مصير بعض المدن التي انقطعت أخبارها، ودُمرت بعد غزو المغول لها[٣].

ولا شك أنه بذلك اعترف اعترافًا صريحًا بتعاون الوزير مؤيد الدين بن العلقمي مع المغول، غير أنه تبريره هذا يسقط عندما نقرأ عن كم الدمار والخراب الذي لحق ببغداد عقب غزو المغول لها.

→→→

طبقات الفحول، تحقيق: محمود عبدالقادر الأرناؤوط، مكتبة إرسيكا، إستانبول، ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م، جـ٥، ص٣٦٧.

(١) مجالس المؤمنين، دار هشام، بدون تاريخ، جـ ٣، ص٤٢٤.

(٢) الطهراني: هو آغا بزرك محسن بن علي بن محمد رضا الطهراني، ولد في طهران، وانتقل إلى العراق سنة ١٣١٣ هـ/ فتفقه في النجف، ثم انتقل إلى سامراء، وعاد إلى النجف؛ لمتابعة العمل في تأليف كتبه، إلى أن توفي، وقد أصبح شيخ محدثي الشيعة على الإطلاق، من كتبه: "الذريعة إلى تصانيف الشيعة"، و"نقباء البشر في القرن الرابع عشر"، وهو واحد من إحدى عشر كتابا في التراجم، في وفيات المئة الرابعة الهجرية فما يليها الى الآن. أفرد كل كتاب منه بقرن وباسم، وسمى الجميع "طبقات أعلام الشيعة" . الزركلي: الأعلام، جـ٥، ص٢٨٨، ٢٨٩.

(٣) طبقات أعلام الشيعة القرن السابع، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٣٠ هـ/ ٢٠٠٩م، جـ٤ (الأنوار الساطعة في المائة السابعة)، ص ١٥٢.

وسواء صح ما ذكره التستري من أن مؤيد الدين بن العلقمي أرسل خطابًا إلى نصير الدين الطوسي أم لا، فقد ذكر الخوانساري[١] أن هولاكو عندما استولى على قلاع الإسماعيلية، أكرم نصير الدين غاية الإكرام، وصحبه، فرغَّبه نصير الدين في قصد العراق، فعزم هولاكو على ذلك، وسخر البلاد والنواحي، واستأصل الخليفة العباسي[٢].

وبذلك يتضح أن هناك اعترافًا ثانيًا بضلوع آخر من كبار الشيعة ورؤسائهم في التحريض على بغداد، والقضاء على آخر الخلفاء العباسيين.

وهنا لا بد من الإشارة إلى أن ما ذكره البعض عن كتاب "تجريد الاعتقاد" للطوسي، حيث ادَّعوا أن الطوسي مات قبل أن يكمله، وأن تلميذه ابن المطهر الحِلِّي هو الذي كتب مقصد الإمامة، وما بعده، وأن ابنه سُئل عن ذلك، فقال: " كان والدي وضع إلى باب الإمامة، وتُوفي، فأكمله ابن المطهر، وكان من الشيعة، وهو زائغ زيغًا عظيمًا" [٣]، وهو ما يوحي أن نصير الدين لم يكن شيعيًا، فقد عقَّب الشيخ حسن

---

(١) الخوانساري: هو محمد باقر بن زين العابدين بن جعفر الموسوي الخوانساريّ الأصفهاني، مؤرخ وأديب، من مجتهدي الإماميين، ولد ونشأ في قصبة خوانسار بإيران، وانتقل إلى أصفهان فاستقر إلى أن توفي فيها. من أشهر مؤلفاته: "روضات الجنات في أحوال العلماء والسادات" في التراجم، و"أدب اللسان" في الأخلاق، و"تفصيل ضروريات الدين والمذهب" (رسالة)، و"أصول الفقه" (أرجوزة)، و"أحسن العطية في شرح الألفية"، وتصانيف بالفارسية. الزركلي: الأعلام، جـ٦، ص٤٩.

(٢) روضات الجنات، جـ ٦، ص ٢٩٣.

(٣) شمس الدين الأصفهاني (ت ٧٤٩ هـ/ ١٣٤٨م): تسديد القواعد في شرح تجريد العقائد، تحقيق: د/ خالد حماد العدواني، دار الضياء للنشر، الكويت، الطبعة الأولى، ١٤٣٣هـ/ ٢٠١٢م، جـ ١، ص ٤٣ (مقدمة المحقق).

العطار على هذا بأنه غير مسلَّم به، وأنه " اعتذار حسن لو تم، فإن المؤرخين مجمعون على أن الطوسي من أكابر الشيعة ورؤسائهم"[١].

وللدلالة على مكانة نصير الدين الطوسي لدى الشيعة، لا بد من الإشارة إلى أنه في سنة ١٣٣٥هـ/ ١٩٥٥م احتفل بمرور سبعمائة سنة على وفاته في جامعة طهران، ودام الاحتفال عدة أيام[٢].

ثانياً: ذهاب بعض الشيعة إلى هولاكو، والدخول في طاعته:

ذكر العلامة الحِلِّي[٣] (ت ٧٢٦ هـ/ ١٣٢٦م) أنه عندما وصل هولاكو إلى بغداد قبل أن يدخلها، خاف منه الناس كافة، حتى هرب أكثر أهل مدينته الحِلَّة[٤] إلى البطائح[٥]، إلا القليل الذين كان منهم والده، وهنا يذكر الحِلِّي أنه شاهد والده مع

---

(١) حاشية العطار على جمع الجوامع، دار الكتب العلمية، بيروت، بدون تاريخ، ج ٢، ص ١٥٤.

(٢) عباس العزاوي: تاريخ علم الفلك في العراق وعلاقاته بالأقطار الإسلامية والعربية في العهود التالية لأيام العباسيين، مطبعة المجمع العلمي العراقي، ١٣٧٨هـ/ ١٩٨٨م، ص ٣٤.

(٣) العلامة الحِلِّي: هو جمال الدين الحسن بن يوسف بن علي بن محمد بن مطهر الحلي، وُلد سنة ٦٤٧ هـ/ ١٢٤٩ م، أحد علماء الإمامية المشهورين، عُرف بـ" العلامة الحلي "، ولم يتفق لأحد من علماء الإمامية القدامى أن لُقّب بالعلامة على الإطلاق غيره، برع في المعقول والمنقول، وله العديد من التصانيف، توفي سنة ٧٢٦ هـ/ ١٣٢٦ م بالحِلَّة، ونقل إلى النجف، ودُفن هناك. محسن الأمين: أعيان الشيعة، تحقيق: حسن الأمين، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، ١٤٠٣ هـ/ ١٩٨٣م، جـ٥، ص٣٩٦.

(٤) الحِلَّة: مدينة كبيرة بين الكوفة وبغداد. انظر ياقوت الحموي (شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي ت ٦٢٦هـ/ ١٢٢٩م): معجم البلدان، دار صادر، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م، جـ٢، ص٢٩٤.

(٥) البطائح: هي أرض واسعة بين واسط والبصرة. انظر ياقوت الحموي: معجم البلدان، جـ١، ص٤٥٠.

جمع ممن بقى في الحِلَّة، ينفذون كتابًا إلى هولاكو يخبرونه بأنهم مطيعون، داخلون تحت سلطته، بل يذكر – أيضًا – أنه شاهده يذهب إلى هولاكو مع شخصين حين طلبه، ولا يعلم ما سيكون مصير والده مع هولاكو، لكنه سرعان ما شاهد والده راجعًا، ومعه الفرمان الذي فيه أمان لأهل الحِلَّة والمشهدين(١).

وإذا كان ما ذكره الحِلِّي، إنما ذكره من باب الحديث عن شجاعة أبيه، وأنه ذهب بنفسه إلى ذلك الملك الجبار هولاكو، الذي شاعت عنه العديد من القصص والروايات عن وحشيته ودمويته، دون أن يهابه، وأنه عاد – دون أذى – في يده كتاب الأمان، فإن القارئ المحايد والباحث المنصف عندما يقرأ هذه الرواية، يجد أنها تحكي قصة تعاون ممقوت وفعل شائن لرجل وضع يده في يد محتل غاصب، بدلًا من الوقوف في وجهه، والدفاع عن بلاده.

ولم تنتهِ الرواية هنا، إذ يذكر الحِلّي أنه عندما ذهب والده إلى هولاكو، قال له: كيف أقدمت قبل الظفر؟ فقال له: لأن أمير المؤمنين [يقصد علي بن أبي طالب] أخبر بك، وقال: "إنه يَرِد الترك على الأخير من بني العباس، يقدمهم ملك يأتي من حيث بدأ ملكهم، جهوري الصوت، لا يمر بمدينة إلا فتحها، ولا ترفع له راية إلا نكسها، الويل الويل لما ناوأه، فلا يزال كذلك حتى يظفر"(٢).

وهنا نجد أنفسنا أمام علي بن أبي طالب (رضي الله عنه)، وهو يخبر بقدوم المغول على آخر خلفاء بني العباس، وعلى رأسهم زعيمهم الذي لا يستطيع أحد

---

(١) إرشاد الأذهان إلى أحكام الإيمان، تحقيق: فارس الحسون، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، إيران، الطبعة الأولى، ١٣١٠ هـ/ ١٨٩٣م، جـ١، ص ٣٠ (مقدمة المحقق).

(٢) العلامة الحِلِّي (أبو منصور الحسن بن يوسف بن المطهر الأسدي ت ٧٢٦ هـ/ ١٣٢٦م): نهج الحق وكشف الصدق، تحقيق: عبد الله الحسني الأرموي، منشورات دار الهجرة، قم، إيران، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م، ص ٢٤٣، ٢٤٤.

الوقوف أمامه، ولا مدينة الصمودَ في وجهه، ثم يطلب من أتباعه عدم مناوأته أو صده، ولا يطلب منهم القيام بواجب الجهاد تجاه هذا العدو، ذلك الجهاد الذي قام به علي بن أبي طالب في حياته خير قيام، فكان مضرب الأمثال في الشجاعة والإقدام.

كذلك ذكر علي الكوراني العاملي أن علي بن أبي طالب وصف المغول بقوله: " كأني أراهم قومًا كأن وجوههم المجان المطرقة، يلبسون السرق والديباج، ويعتقبون الخيل العتاق، ويكون هناك استحرار قتل، حتى يمشي المجروح على المقتول، ويكون المفلت أقل من المأسور، فقال له بعض أصحابه: لقد أُعطيت يا أمير المؤمنين علم الغيب! فضحك، وقال للرجل، وكان كلبيًا: يا أخا كلب، ليس هو بعلم غيب، وإنما هو تعلم من ذي علم، وإنما علم الغيب علم الساعة، وما عدَّده الله بقوله: {إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ }[(١)]... فهذا علم الغيب، الذي لا يعلمه أحد إلا الله، فما سوى ذلك فعلم علَّمه الله نبيه، فعلمنيه، ودعا لي بأن يعيه صدري، وتضطم عليه جوانحي"[(٢)].

وعلى الرغم من أنه نفى أن يكون هذا علمًا للغيب، إلا أنه عاد بعد ذلك، وذكر أن هذه واحدة من معجزات كثيرة لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب، وأن عقيدتهم تقول بأن علي والحسن والحسين، والتسعة من ذرية الحسين، يعلمون كثيرًا من الغيب، مما علَّمهم رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأكرمهم به الله تعالى[(٣)]؛ مما يؤكد ذلك التناقض الواضح، والذي لا يتفق- بأي حال – مع عقيدة أهل السُّنة؛ بل ويؤكد أن مثل هذه الروايات إنما هي من وضع الشيعة واختلاقاهم.

---

(١) سورة لقمان، الآية (٣٤).

(٢) كيف رد الشيعة غزو المغول، دار الهدى، قم، الطبعة الأولى، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م، ص٢١.

(٣) علي الكوراني العاملي: المرجع السابق، ص٢٢.

وعلي أية حال، فيبدو أن ما أقدم عليه الشيعة قد وصل إلى مسامع غيرهم من المؤرخين، حيث ذكر البناكتي (ت ٧٣٠هـ/ ١٣٣٠م) هذه الرواية التي جاء فيها: "وفي أثناء فتح بغداد أرسل مجد الدين محمد بن الحسن بن طاووس الحلي[١]، وسيف الدين يوسف بن المطهر [والد العلّامة الحِلِّي] رسالة مع رسول إلى الملك فحواها أنهما يقرا بالطاعة، فقد عرفنا من أخبار أجدادنا خاصة أمير المؤمنين علي كرم الله وجهه، أنك ستصبح مالك هذه البلاد، حيث قال: إذا جاءت العصابة التي لا خلاف لها... ويل لك يا بغداد ولدارك العامرة التي لها أجنحة كأجنحة الطواويس ثمانين، كما يُذاب الملح في الماء، يأتي بنو قطور، ومقدمهم جهوري الصوت، لهم وجوه كملجان المطرقة، وخراطيم كخراطيم الفيلة، لم يصل ببلد إلا فتحها، ولا براية إلا نكسها، فأمر هولاكو بإحضارهما وأنعم عليهما"[٢].

وهنا لا بد من الإشارة إلى أن بعض المؤرخين السُّنة ذكر رواية مشابهة لهذه، لكنه نسبها إلى علي بن عبد الله بن العباس، جاء فيها ما ذكر القاضي جمال الدين بن واصل (ت ٦٩٧هـ/١٢٩٧م) بقوله: لقد أخبرني من أثق به أنه وقف على كتاب عتيق فيه ما صورته أن علي بن عبد الله بن عباس بن عبد المطلب بلغ بعض خلفاء بني أمية عنه أنه يقول: إن الخلافة تصير إلى ولده، فأمر الأموي بعلي بن عبد الله فحُمل على جمل، وطيف به، وضُرب، وهم ينادون عليه: هذا جزاء من

---

(١) مجد الدين محمد بن الحسن بن طاووس الحلي: هو محمد بن الحسن بن موسى بن جعفر بن محمد بن طاووس الحلي، كان نقيبًا للبلاد الفراتية، له كتاب البشارة أهداه الى السلطان هولاكو. عمر رضا كحالة: معجم المؤلفين، مكتبة المثنى، بيروت، بدون تاريخ، جـ٩، ص٢٢٤.

(٢) روضة أولى الألباب في معرفة التواريخ والأنساب، المعروف بـ" تاريخ البناكتي"، ترجمة: محمود عبد الكريم علي، ط. المركز القومي للترجمة، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م، ص٤٥١، ٤٥٢.

يفتري، ويقول: إن الخلافة تكون في ولده، فكان علي بن عبد الله يقول: إي والله، لتكونن الخلافة في ولدي، لا تزال فيهم حتى يأتيهم العلج من خراسان، فينتزعها منهم، فوقع مصداق ذلك، وهو ورود هولاكو، وإزالته ملك بني العباس(١).

ولا شك أن مثل هذه الروايات التي لا سند لها، تدعو إلى الشك فيها أكثر من الوثوق، إذ لم ينص القاضي جمال الدين على هذا الراوي الذي وثق به، كما أن هذا الراوي ذكر أنه أخذها من كتاب عتيق، ولم يذكر اسمه ولا اسم صاحبه؛ مما يدعو إلى عدم التعويل على مثل هذه الروايات مبتورة المسند.

وعلى أية حال، فقد أكَّد بعض مؤرخي السُّنة ما أقدم عليه الشيعة، فقد ذكر ابن الفوطي (ت ٧٢٣هـ/ ١٣٢٣م) أن أهل الحِلِّة والكوفة خرجوا إلى البطائح بأولادهم، وحضر أكابرهم من العلويين والفقهاء مع مجد الدين بن طاووس إلى هولاكو، وسألوه حقن دمائهم، فأجابهم، وعين لهم شحنة، فعادوا إلى بلادهم، وأرسلوا إلى من في البطائح، فحضروا بأهلهم وأموالهم، وجمعوا مالًا عظيمًا، وحملوه إلى هولاكو(٢).

وقد زاد الهمذاني (ت ٧١٨ هـ/ ١٣١٨م) على ذلك، بأنه بعد حضور بعض العلويين والفقهاء من الحِلِّة، أرسل هولاكو إليهم من يقف على مدى إخلاصهم، فاستقبلهم أهل الحِلِّة؛ ابتهاجًا بقدومهم، ولما شاهد بوقا تيمور – أحد الذين أرسلهم

(١) أبو الفدا: المختصر، ج ٣، ص ٢٣٤. الكتبي: فوات الوفيات، جـ ٢، ص ٢٣٣.

(٢) الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة، تحقيق: مهدي النجم، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م، ص ٢٣٧.

هولاكو – منهم ذلك، رحل عنها، وتوجه إلى واسط[١]، ولكن أهلها لم يدخلوا في الطاعة، فقتل منهم ما يقرب من أربعين ألف شخص[٢].

كما ذكر كثير من الشيعة القدامى والمحدثين أن مجد الدين محمد بن عز الدين من آل طاووس خرج إلى هولاكو، وصنَّف له كتاب " البشارة "، فردَّه إلى حكم نقابة البلاد الفراتية، وسلمت الحِلَّة والنيل[٣] والمشهدان من القتل والنهب، فلم تُنهب، ولم تُبح كسائر البلاد[٤].

---

(١) واسط : مدينة تقع بين البصرة والكوفة؛ ولذلك سميت واسط. ابن الفقيه (أبو عبد الله أحمد بن محمد بن إسحاق الهمداني ت ٣٦٥هـ/ ٩٧٦م): كتاب البلدان، تحقيق: يوسف الهادي، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٦ هـ/ ١٩٩٦م، ص٢٦٠.

(٢) جامع التواريخ (الإيلخانيون)، ترجمة : محمد صادق نشأت وآخرين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٤٤١هـ/ ٢٠١٩م، مج ٢، جـ١، ص ٢٩٥، ٢٩٦.

(٣) رضي الدين بن طاووس (أبوالقاسم علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن طاووس ت ٦٦٤ هـ/ ١٢٦٦م): إقبال الأعمال، تحقيق: حسين الأعلمي، مؤسسة الأعلمي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م، ص ٧ (المقدمة). ابن عنبة (جمال الدين أحمد بن علي الحسني ت ٨٢٨ هـ/ ١٤٢٥م): عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب، المطبعة الحيدرية، النجف، الطبعة الثانية، ١٣٨٠هـ/ ١٩٦١م، ص ١٩٠، ١٩١. آية الله السيد جعفر بحر العلوم: تحفة العالم في شرح خطبة المعالم، تحقيق: أحمد علي مجيد الحلي، شركة الأعلمي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٣٣هـ/ ٢٠١٢م، مج ١، ص ٣٧٠. الطهراني: طبقات أعلام الشيعة، جـ٤، ص ١٥٧. والنيل: مدينة بأرض بابل بالعراق، بناها الحجاج بن يوسف. ياقوت الحموي: معجم البلدان، جـ٣، ص٤٠٠.

(٤) الزبيدي(محمد مرتضى الحسيني الزبيدي ١٢٠٥هـ/ ١٧٩٠م): تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: محمود محمد الطناحي، مطبعة حكومة الكويت، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م، جـ ١٦، ص ٢١٧.

ثالثاً: تفضيل الحاكم الكافر العادل على المسلم الجائر:

هناك رواية انفرد بها ابن الطقطقا (ت ٧٠٩هـ/ ١٣٠٩م)، جاء فيها أنه لما استولى هولاكو على بغداد سنة ٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م أمر أن يستفتى العلماء، أيما أفضل: السلطان الكافر العادل، أم السلطان المسلم الجائر؟ ثم جمع العلماء المستنصرية لذلك، فلما وقفوا على الفتيا، أحجموا عن الجواب، وكان رضي الدين علي بن طاووس حاضرًا هذا المجلس، فلما رأى إحجامهم، أفتى بتفضيل العادل الكافر على المسلم الجائر، فوافقوه في ذلك(١).

ولا يخفى ما في هذه الفتوى من خطر عظيم، فهي علاوة على أنها تفضل الكافر على الحاكم المسلم، تخالف ما ورد في القرآن الكريم في قوله تعالى: { وَلَن يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا }(٢)، وهنا يظهر أن الغرض من مثل هذه الفتوى كسب رضى المغول وزعيمهم.

وهنا لا بد من الإشارة إلى أن ذلك الشخص الذي أفتى بهذه الفتوى هو نفسه الذي أخبر بأن الخليفة المستنصر العباسي(٣) طلب منه أن يكون رسولًا إلى المغول، فرفض ذلك؛ معللًا ذلك بقوله: "إن أنا نجحت ندمت، وإن جنحت ندمت"، وعندما سئل عن ذلك، قال: "إن نجاح سعيي يقتضي أنكم ما تبغون تعزلوني من الرسالات إلى أن ألحق الأموات، وتشغلوني عن العبادات وغيرها من المهمات، وإن لم ينجح الأمر بين

---

(١) الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية، دار صادر، بيروت، بدون تاريخ، ص ١٧.

(٢) سورة النساء، من الآية (١٤١).

(٣) الخليفة المستنصر العباسي : هو أبو جعفر منصور بن الظاهر بأمر الله، ولد سنة ٥٨٨هـ/، كان عاقلًا حازمًا سائسًا ذا رأي ودهاء، تولى الخلافة في رجب سنة ٦٢٣هـ/، توفي سنة ٦٤٠هـ/ بعد أن تولى الخلافة ١٧ عامًا. الذهبي: سير أعلام النبلاء، جـ ٢٣، ص١٥٥ – ١٥٨.

يدي سقطت من عينكم سقوطًا، أدى إلى كسر حرمتي، وفتح باب أذيتي، واشتغالي عن دنياي وآخرتي"[١].

كما ذكر – أيضًا – أن الخليفة المستنصر بالله طلب منه تقلُّد الوزارة، وضمن له أن يبلغ به في ذلك إلى الغاية، فاعتذر عن ذلك؛ معللًا ذلك بأن الوزراء جرت عادتهم بأنهم يمشون أمورهم بكل مذهب سواء كان ذلك موافقًا لرضى الله ورضا رسوله أو مخالفًا لهما، وأنه إن أراد العمل في ذلك بكتاب الله وسنة رسوله، فهذا أمر لا يحتمله أحد من مماليك الخليفة ولا خدمه ولا حشمه ولا ملوك الطوائف، بل وبين للخليفة أنه إذا سلك سبيل العدل والإنصاف والزهد، لقيل له إن هذا العلوي ما أراد بهذا الأمر إلا أن يُعرِّف الناس أن الخلافة لو كانت إليهم لساروا على هذه السيرة[٢].

فهاتان مهمتان طلب الخليفة العباسي من علي بن طاووس القيام بهما فرفض، وادعى أن أولاهما إما أن ينجح فيها، فتوكل إليه مهمات أخرى تشغله عن العبادات، وإما أن يفشل في القيام بها، فيسقط، وتنكسر حرمته، وينشغل عن آخرته بدفع الضر عن نفسه، كما ادعى أن ثانيهما لن يحتمله أحد إن سار وفقًا لكتاب الله وسنة رسوله... أما وأن يصدر فتوى مثل هذه التي تصدَّر لها فلم يمانع، وإن كان قد رأى أن الكافر العادل أفضل من المسلم الجائر، وهو يقصد بذلك الخليفة، فلماذا لم يقبل الوزارة، ويقيم العدل بين الناس، ويرفع الظلم عنهم؟

---

(١) رضي الدين بن طاووس: كشف المحجة لثمرة المهجة، منشورات المطبعة الحيدرية، النجف، ١٣٧٠هـ/ ١٩٥٠م، ص ١١٣، ١١٤.

(٢) رضي الدين بن طاووس: المصدر السابق، ص ١١٨.

رابعاً: كتابة رسالة التهديد إلى حلب:

ذكر الخوانساري أنه بعد استيلاء المغول على بغداد، أرسلوا رسالة إلى أمير حلب، كتبها نصير الدين الطوسي[١]، جاء منها: "أما بعد فقد نزلت بغداد سنة ست وخمسين وستمائة، فساء صباح المنذرين، فدعونا مالكها إلى طاعتنا، فأبى، فحق عليه القول، فأخذناه أخذًا وبيلًا، قد دعوناك إلى طاعتنا، فإن أتيت فروح وريحان وجنة نعيم، وإن أبيت فلأسلطن عليك، فلا تكن كالباحث عن حتفه بظلفه، والجادع مارن أنفه بكفه، والسلام"[٢].

ولا يخفى أن مثل هذه الرسائل التي تفيض بالتهديد والوعيد كان لها أثر كبير في النفوس، خاصة إذا ما سبقتها تلك الصورة التي انتشرت عن وحشية المغول تجاه تلك المدن التي قاموا بغزوها، ولا شك أن هذا الأمر يتحمل تبعيته نصير الدين الطوسي وأمثاله، ممن كانوا سببًا في إضعاف إخوانهم من المسلمين.

خامساً: إظهار الفرح والسرور بالقضاء على الخلافة العباسية:

عند قراءة كتابات الشيعة نجد أن الكثير منها تعلوه عبارات الدعاء والثناء، التي تمتزج بعبارات التعظيم والتمجيد للمغول الذين قضوا على الخلافة العباسية، وتظهر نبرة الفرح التي تؤكد تواطؤ هؤلاء معهم.

يقول رضي الدين علي بن طاووس: " اعلم أن في مثل هذا اليوم ثامن وعشرين محرم، وكان يوم الاثنين سنة ست وخمسين وستمائة فتح ملك الأرض – يقصد هولاكو – زيد رحمته ومعدلته بغداد... ولم نزل في حمى السلامة الإلهية، وتصديق

---

(١) نص الهمذاني على أن هذه الرسالة كتبها بالعربية نصير الدين الطوسي بأمر من هولاكو. انظر جامع التواريخ، مج ٢، جـ ١، ص ٢٩٦.

(٢) روضات الجنات، جـ ٦، ص ٢٩٦.

ما عرفناه من الوعود النبوية إلى أن استدعاني ملك الأرض إلى دركاته المعظمة – جزاه الله بالمجازاة المكرمة – في صفر، وولاني على العلويين والعلماء والزهاد..."[١].

وأما ابن الطقطقا، فقال: " فهذا كان اعتقاد الناس في بني العباس، وما قويت دولة من الدول على إزالة مملكتهم، ومحو أثرهم سوى هذه الدولة –يقصد المغول – القاهرة نشر الله إحسانها، وأعلى شأنها، فإن السلطان هولاكو لما فتح بغداد، وقتل الخليفة محا أثر بني العباس كل المحو، وغير جميع قواعدهم، حتى إن الذي كان يتلفظ باسم بني العباس كان على خطر من ذلك"[٢].

وهذا الخوانساري يقول: "ومن جملة أمره المشهود المعروف المنقول حكاية، استيزاره للسلطان المحتشم في محروسة إيران هولاكو خان بن تولوي خان بن جنكيز خان، من عظماء سلاطين التاتارية وأتراك المغول، ومجيئه في موكب السلطان المؤيد مع كمال الاستعداد إلى دار السلام بغداد؛ لإرشاد العباد، وإصلاح البلاد، وقطع دابر سلسلة البغي والفساد، وإخماد ثائرة الجور، والإلباس بإمداد دائرة ملك بني العباس، وإيقاع القتل العام من أتباع أولئك الطغام، إلى أن أسال من دمائهم الأقذار كأمثال الأنهار، فانهار بها في ماء دجلة، ومنها إلى نار جهنم، دار البوار، ومحل الأشقياء والأشرار"[٣].

ومن هنا، واعتماداً على الشواهد التاريخية، فقد أشار ابن تيمية (ت ٧٢٨هـ/ ١٣٢٨م) إلى أن الشيعة الرافضة يستعينون بالكفار على المسلمين، وأنه إذا ابتلي المسلمون بعدو كافر كانوا معه على المسلمين، واستدل على ذلك بأن ابن العلقمي كان سببًا في قتل آلاف المسلمين بما فيهم الهاشميين من العباسيين وغير العباسيين

---

(١) إقبال الأعمال، ص ٦٣.

(٢) الفخري في الآداب السلطانية، ص ١٤٢.

(٣) روضات الجنات، جـ ٦، ص ٢٧٩.

وتساءل: هل يكون مواليًا لآل رسول الله – صلى الله عليه وسلم – من يسلط الكفار على قتلهم وسبيهم، وعلى سائر المسلمين[١]؟

كما أفتى أن الواجب على ولاة الأمر قطعهم من دواوين المقاتلة، فلا يُتركون في ثغر، ولا في غيره، وأن يستخدم من يحتاج إلى استخدامه من الرجال المأمونين على دين الإسلام، وعلى النصح لله ورسوله، ولأئمة المسلمين وعامتهم، وتساءل: إذا كان ولي الأمر لا يستخدم من يغشه وإن كان مسلمًا، فكيف بمن يغش المسلمين جميعاً [٢] ؟

(١) منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية، تحقيق: د/ محمود رشاد سالم، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م، جـ٥، ص ١٥٥.

(٢) مجموع الفتاوى، تحقيق: عبد الرحمن محمد قاسم، محمد عبد الرحمن محمد قاسم، ط. مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، السعودية، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م، جـ ٣٥، ص ١٥٦.

المبحث الثاني

موقف الشيعة من كتابات المؤرخين السنة

حاول المؤرخون الشيعة كثيرًا سرد العديد من الروايات التي أوردها السنة في كتبهم، والتي تطعن في الشيعة، وتبين مدى تواطئهم مع المغول، وعملوا على نفيها، وإقامة الدليل على عدم حدوثها، وإظهار أن الهدف منها فقط التعصب المذهبي، وهذه هي بعض الروايات، وردود الشيعة عليها:

أولًا: ثناء السنة على الوزير ابن العلقمي ومدحهم له:

أثنى مؤرخو السنة كثيرًا على الوزير ابن العلقمي، فقد ذكر الغساني (ت٧٦١هـ/١٣٦٠م) أنه كان "عالمًا فاضلًا أديبًا، حسن المحاضرة، دمث الأخلاق، كريم الطباع، خير النفس، كارهًا للظلم، خبيرًا بتدبير الملك، لم يباشر قلع بيت، ولا استئصال مال.."[(١)]. أما السبكي (ت ٧٧١ هـ/١٣٧٠م) فقد ذكر أنه كان "فاضلًا أديبًا"[(٢)]، كما أشار ابن كثير (ت٧٧٤هـ/ ١٣٧٢م) إلى أنه كان عنده فضيلة في الأدب[(٣)]، وذكر الكتبي (٧٦٤هـ/١٣٦٢م) أنه كان "وزيرًا كافيًا، خبيرًا بتدبير الملك"[(٤)].

ومن هنا رأى مؤرخو الشيعة أن هناك خلطًا عند مؤرخي السنة، فهم يتفقون في الثناء على شخصية ابن العلقمي، ومع ذلك فقد وجهوا إليه تهمة في غاية

---

(١) العسجد المسبوك، جـ٢، ص ٦٤٠.

(٢) طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق: عبد الفتاح محمد الحلو، محمود محمد الطناحي، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، بدون تاريخ، جـ ٨، ص ٢٦٢.

(٣) البداية والنهاية، جـ١٧، ص ٣٦٣.

(٤) فوات الوفيات، جـ٣، ص٢٥٢.

الخطورة، خلاصتها أنه خان سيده الخليفة المستنصر بالله، وجلب على قومه القتل والخراب[١].

بل ويؤكدون أن هناك تناقضًا بين أقوال المؤرخين السُّنة في موقفهم من الوزير ابن العلقمي، إذ يجدونهم في الوقت الذي يقولون بخبرة ابن العلقمي وتدبيره وعلمه وفضله، ينقلبون إلى ذمه بعبارات التجريح المختلفة[٢].

وفي الحقيقة أن مأخذ الشيعة على مؤرخي السنة هو نفسه دليل الصدق، إذ لو كان هذا الاتهام تَجنِّيًا من مؤرخي السنة أو تعصبًا منهم، ما مدحوا ابن العلقمي، ولا أثنوا عليه، ولكن الواضح – من خلال النصوص – أنهم أثنوا عليه في الناحية الأدبية والسياسية، ولكن هذا لم يمنعهم من الحديث عن خيانته وتواطئه مع المغول، عندما أقدم على هذا الفعل المشين.

وللتأكيد على ذلك، نجد أن المؤرخين السنة يقدحون في الخليفة العباسي المستعصم بالله، ويمدحونه: فالمستعصم – كما ذكر المؤرخون – كان متدينًا، متمسكًا بالسنة كأبيه وجده، غير أنه لم يكن في حزم أبيه، وتيقظه، وعلو همته[٣]،

---

(١) جعفر حسين خصباك: العراق في عهد الملوك الإيلخانيين (٦٥٦هـ – ٧٣٦هـ/ ١٢٥٨ – ١٣٣٥م)، مطبعة العاني، بغداد، الطبعة الأولى، ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م، ص٢٦، ٢٧.

(٢) محمد عيدان العبادي: ابن العلقمي ودوره السياسي، المجمع العالمي لآل البيت، قم، إيران، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م، ص٩، ١٠.

(٣) الذهبي: سير أعلام النبلاء، تحقيق: بشار عواد معروف، محيي هلال السرحان، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٥ هـ/ ١٩٨٥م، جـ٢٣، ص١٧٥. وانظر أيضًا الكتبي: فوات الوفيات، جـ٢، ص٢٣١. السيوطي (جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر ت ٩١١ هـ/ ١٥٠٥ م): تاريخ الخلفاء، ط. وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، قطر، الطبعة الثانية، ١٤٣٤هـ/ ٢٠١٣م، ص٧٠٨.

وكان حليمًا، كريمًا، سليم الباطن، حسن الديانة، مبغضًا للبدعة، وفي نفس الوقت قليل الرأي[١]، كما كان حسن الصورة، جيد السيرة، صحيح السريرة، صحيح العقيدة، مقتديًا بأبيه المستنصر في كثرة الصدقات، وإكرام العلماء والعباد، ولكن كان فيه لين، وعدم تيقظ، ومحبة للمال وجمعه[٢].

فإذا كان هذا هو حالهم مع خليفة المسلمين، فليس في قدحهم ومدحهم للوزير ابن العلقمي ما يُعد خلطًا أو تناقضًا، وإنما ذكروا كلاً منهما بما فيه، وهذا هو عين الإنصاف، والبعد عن التعصب.

ثانياً: حادثة الكرخ:

ذكر المؤرخون أنه في ذي الحجة سنة ٦٥٤هـ/ ١٢٥٦م قتل أهل الكرخ – وكانوا شيعة– رجلًا من قَطُفتا[٣]، فدخل جماعة إلى الخليفة، وعرفوه بما حدث، وعظموا ذلك، ونسبوا إلى أهل الكرخ كل فساد، فأمر بردعهم، فذهب الجند إليهم،

(١) اليافعي (أبو محمد عبدالله بن أسعد بن علي ت ٧٦٨ هـ/ ١٣٦٦م): مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، تحقيق: خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م، جـ٤، ص١٠٧.

(٢) ابن كثير: البداية والنهاية، تحقيق: عبدالله عبدالمحسن التركي، هجر للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨ م، جـ١٧، ص٣٦٦.

(٣) قَطُفتا: محلة كبيرة ذات أسواق، بالجانب الغربى من بغداد، بينها وبين دجلة أقل من ميل. البغدادي (صفي الدين عبدالمؤمن بن عبدالحق ت ٧٣٩هـ/ ١٣٣٨م): مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ/ ١٩٩١م، جـ٣، ص١١٠٧.

وتبعهم العوام، ونهبوا الكرخ، وأحرقوا عدة مواضع منه، وسبوا الكثير، وسفكوا الدماء، ثم أمر الخليفة بالكف عنهم، ونودي بالأمان(١).

وذكروا أن أهل الكرخ عندما شكوا ذلك إلى الوزير ابن العلقمي حنق ونوى الشر وأمرهم بالكف والتغاضي، وأضمر هذا الأمر في نفسه(٢)، فكان ذلك من أقوى الأسباب في ممالأته المغول، "بأن دبر على الإسلام وأهله ما وقع من الأمر الفظيع الذي لم يؤرخ أشنع منه منذ بنيت بغداد"(٣).

بل إن هناك من ذكر أن الوزير ابن العلقمي كتب إلى نائب الخليفة بإربيل، وهو تاج الدين محمد بن صلايا، وهو شيعي أيضًا رسالة، يقول فيها: " نُهب الكرخ المكرم، وقد ديس البساط النبوي المعظم، وقد نُهبت العترة العلوية، واستؤسرت العصابة الهاشمية، وقد حسن التمثيل بقول الشاعر:

أمور تضحك السفاء منها *** ويبكي من عواقبها اللبيب

وقد عزموا على نهب الحِلَّة والنيل، بل سولت لهم أنفسهم أمرًا، فصبر جميل

أمرتهم أمري بمنعرج اللوى *** فلم يستبينوا الرشد إلى ضحى الغد

---

(١) ابن الفوطي: الحوادث الجامعة، ص ٢٢٥، ٢٢٦. وانظر أيضًا: ابن الوردي (زين الدين عمر بن الوردي ت ٧٤٩ هـ/ ١٣٥٨ م): تتمة المختصر في أخبار البشر، المعروف بـ " تاريخ ابن الوردي"، تحقيق: أحمد رفعت البدراوي، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٣٨٩هـ/ ١٩٧٠م، جـ ٢، ص ٢٨٢. السبكي: طبقات الشافعية الكبرى، جـ ٨، ص ٢٦٣. ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، جـ ٧، ص ٤٣.

(٢) اليونيني: ذيل مرآة الزمان، مج ٢١، ص ٨٦. الذهبي: تاريخ الإسلام، جـ ٤٨، ص ٣٤. الغساني: العسجد المسبوك، جـ ٢، ص ٦٢٥.

(٣) ابن كثير: البداية والنهاية، جـ ١٧، ص ٣٤٨، ٣٥٨.

فلنأتينهم بجنود لا قبل لهم بها، ولنخرجنهم منها أذلة وهم صاغرون، وكن لما أقول بالمرصاد، وتأول أول النجم، واحرص"[١].

وقد ذكر السبكي هذه الرسالة باختلاف طفيف، حيث قال: " وقد عزموا –لا أتم الله عزمهم ولا أنفذ أمرهم– على نهب الحلة والنيل، بل سولت لهم أنفسهم أمرًا، فصبر جميل، والخادم قد أسلف الإنذار، وعجل لهم الإعذار..." [٢].

وفي أثناء تناول مؤرخي الشيعة لهذه الأحداث، ذكروا أن بعض المؤرخين قام بتفسير ذهاب الوزير ابن العلقمي إلى أهل الكرخ بأنه تعاطف معهم؛ لوجود خلفية مذهبية تجمع ابن العلقمي وأهل الكرخ، وأخذوا في الدفاع عنه ورد التهم عنه بأنه ذهب إلى الناس وأمن روعهم؛ لأنهم ضحية المهاجمين بعد أن ذاقوا الويل، واعتبروا أن ذهاب الوزير إلى أهل الكرخ من صميم عمله كرجل مسؤول، خاصة أن بعض الذين داخل مسئولية الخلافة قد تعرضوا للحيف والظلم، وتساءل: هل يلام أي مسؤول في الدولة إذا غضب من هذه الأعمال؟ وهل يعد ذلك تعصبًا[٣]؟

ولا شك أن الجميع يتفق على أن ذهاب ابن العلقمي لأهل الكرخ، بل وغضبه ليس أمرًا مذمومًا، ولا يوجه إليه اللوم بأي حال من الأحوال، ولكن الذي لا يمكن إنكاره أن الخليفة نفسه تدخل لإنهاء هذا الأمر، فأمر بإحضار ما نهبه الجند ورده إلى أصحابه، كما أعاد النساء الأسرى إلى أربابهم[٤]، أما إقدام الوزير على مكاتبة المغول، وإطماعهم في بلاد المسلمين فهي الخيانة التي لا يمكن تبريرها.

---

(١) ابن الوردي: تتمة المختصر، ص٢٨٢، ٢٨٣.

(٢) طبقات الشافعية الكبرى، جـ ٨، ص ٢٦٣، ٢٦٤.

(٣) محمد عيدان العبادي: ابن العلقمي ودوره السياسي، ص ١٨٨، ١٨٩.

(٤) ابن الفوطي: الحوادث الجامعة، ص ٢٢٦.

كما دافع الشيعة عن ابن العلقمي أيضًا بقولهم إن التهمة تحديد البداية التاريخية لخيانة ابن العلقمي بمراسلة هولاكو بعد استباحة الكرخ سنة ٦٥٤هـ/ ١٢٥٦م، في حين أن هولاكو كان يسير إلى غزو العراق قبل هذا التاريخ ببضعة سنين، وأنه كان يعمل طبقًا لأوامر عليا صدرت إليه قبل وصوله بلاد الإسماعيلية، أي قبل وقوع حادثة الكرخ، وتساءل: إذا كان العراق قد سقط في أيدي المغول نتيجة لخيانة ابن العلقمي، فكيف نفسر سقوط كل هذه البلاد الممتدة من المحيط الهادي إلى أواسط أوربا؟ ومن هم الخونة الذين سلموها إلى الأعداء؟ ثم كيف نفسر احتلال هولاكو لسوريا واستعداده للزحف على مصر[١]؟

ومع الاتفاق تمامًا مع ذلك الرأي القائل بأن غزو بغداد بالنسبة للمغول كان أمرًا لا بد منه، وأن سقوط العديد من المدن لم يكن بأيدي الخونة، إلا أنه لا يمكن إنكار أن دخول بغداد تم بأسهل مما يتوقع، خاصة أنها كانت عاصمة الخلافة التي كان يقطنها خليفة المسلمين، ولا شك أن هذا لم يكن ليتم لولا توافر عدة عوامل، كان على رأسها تواطؤ بعض الخونة مع المغول.

ثالثاً: تسريح الوزير ابن العلقمي للجند:

كان الخليفة المستنصر قد استكثر من الجند، حتى بلغ عددهم مائة ألف[٢]، فلما جاء الخليفة المستعصم، واستوزر المؤيد بن العلقمي، حسَّن له جمع الأموال، وأن يقتصر على بعض العساكر، فقطع أكثرهم[٣]، وكان هدفه من ذلك أن يحمل الخليفة متحصل إقطاعاتهم إلى المغول، فصار عسكر بغداد دون عشرين ألفًا[٤]،

---

(١) جعفر حسين خصباك: العراق في عهد المغول الإيلخانيين، ص ٣٤، ٣٥.

(٢) الذهبي: تاريخ الإسلام، جـ ٤٨، ص ٣٤. ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، جـ ٢٧، ص ٤٣.

(٣) الذهبي: سير أعلام النبلاء، جـ ٢٣، ص ١٧٥.

(٤) أبو الفدا: المختصر، جـ ٣، ص ٢٣٣. ابن الوردي: تتمة المختصر، جـ ٢، ص ٢٨٣.

خاصة بعد أن أقنع الخليفة أن مصانعة المغول وإكرامهم، يحصل بها المقصود[١].

بل إن ابن كثير ذكر أن جنود بغداد كانوا لا يبلغون عشرة آلاف فارس، وأن بقية الجيش كلهم قد صُرفوا عن إقطاعاتهم؛ حتى استعطى كثير منهم في الأسواق وأبواب المساجد، وأنشد فيهم الشعراء القصائد؛ يرثون لهم، ويحزنون على الإسلام وأهله، وذلك كله عن آراء ابن العلقمي[٢].

وعندما أخذ الشيعة في الدفاع عن ابن العلقمي، ذكروا أن أمر الجيش لم يكن بيد ابن العلقمي، ولا كان هو الذي يفرض جمعه أو تفريقه أو الإنفاق عليه، ولم تكن له أية صلاحية في شأن من شئونه، وإن صح تفريق الجيش فإن الذي يكون قد قام بتفريقه هو الرجل المسئول عن ذلك، ومن بيده تصريف شئون الجيش، وهو غير ابن العلقمي[٣].

ويأتي آخر، فيتساءل: كيف يستطيع الوزير إقناع الخليفة بصرف أكثر جنوده، والاكتفاء بالقليل منهم، في وقت كان الخطر المغولي يهدد الدولة العباسية والعراق، وكان للخليفة مستشارون عسكريون متعددون، على رأسهم الدويدار الصغير[٤] عدو الوزير[٥] ؟

---

(١) السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص ٧١٠، ٧١١.

(٢) البداية والنهاية، جـ ١٧، ص ٣٥٨.

(٣) حسن الأمين: الإسماعيليون والمغول ونصير الدين الطوسي، مركز الغدير للدراسات الإسلامية، قم، إيران، الطبعة الثانية، ١٤١٧ هـ/ ١٩٩٧م ص ٢٧٦.

(٤) الدويدار الصغير: هو مجاهد الدين أيبك، مقدم جيش العراق، عُرف بالبطولة والشجاعة، قُتل على يد المغول، وحُملت رأسه، ونُصبت بالموصل. الذهبي: سير أعلام النبلاء، جـ٢٣، ص٣٧١.

(٥) جعفر حسين خصباك: العراق في عهد المغول الإيلخانيين، ص ٤٠.

وعلى هذا، فدفاع مؤرخي الشيعة عن ابن العلقمي مبني على أنه ليس له سلطة أو صلاحية فيما يتعلق بأمر الجيش والجنود، غير أن هذا الدفاع يسقط إذا ما وجدنا أن ولاية الوزراء ولاية عامة في الأعمال العامة؛ لأنهم مستنابون من غير تخصيص، أما نقيب الجيوش، والمستشارون العسكريون –كما ذكر أحدهم– فولايتهم خاصة في الأعمال العامة، لأن كل واحد منهم مقصور على نظر خاص في جميع الأعمال[١]؛ ولذلك جعلت الشروط المعتبرة في تقليد الوزارة هي نفس شروط الإمامة إلا النسب[٢].

الأمر الثاني الذي لا بد من الإشارة إليه هو أن المستعصم بالله –كما ذكر العديد من المؤرخين– كان خليًا من الرأي والتدبير[٣]، ومن ثم فإن أمرًا مثل هذا يجعل الوزير هو المتحكم في جميع الأمور، سواء كان ذلك ضمن صلاحياته أم لا.

رابعاً: مسألة نقل الخلافة إلى العلويين:

أشار المؤرخون إلى أن ابن العلقمي كان حريصًا على زوال الخلافة العباسية، ونقل الخلافة إلى العلويين[٤]، وأنه عزم على أن يحسن لهولاكو أن يقيم خليفة علويًا، فلم يتم له ذلك[١].

---

(١) الفراء (أبو يعلي محمد بن الحسين ت ٤٥٨ هـ/ ١٠٦٦م): الأحكام السلطانية، تحقيق: محمد حامد الفقي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م، ص ٢٨.

(٢) الماوردي (أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب ت ٤٥٠ هـ/ ١٠٥٨م): الأحكام السلطانية والولايات الدينية، تحقيق: د/ أحمد مبارك البغدادي، دار ابن قتيبة، الكويت، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م، ص ٣٠.

(٣) الذهبي: تاريخ الإسلام، جـ ٤٨، ص ٣٤. ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، جـ ٧، ص ٤٣. السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص ٧١١.

(٤) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، جـ ٧، ص ٤٣. السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص٧

وقد رد أحد مؤرخي الشيعة على ذلك بأن من يتناول هذا الأمر يتحدث وكأن الجيش المغولي أداة طيعة لتحقيق أهداف ابن العلقمي، أو أنه استغفل هولاكو بقصد إقامة خليفة علوي!! ثم عاب على هؤلاء الذي أطلقوا هذه التهمة بأنهم لم يتحدثوا عن المرشح لمنصب الخلافة من العلويين أو يحددوا اسمه، وأنهم أطلقوا الأمر جزافًا، فأصبح دعوى من غير دليل(٢).

وللرد على هذا أقول : ليس معنى أن ابن العلقمي قد عزم على أن يحسن للمغول إقامة خليفة علوي، أن الجيش المغولي أداة طيعة في يده، خاصة أن صديقه نصير الدين الطوسي الشيعي كانت له كلمة مسموعة لدى هولاكو. أما عدم ذكر المرشح لهذا المنصب من العلويين فهذا أمر يخص الشيعة أنفسهم، خاصة وأنهم – كما حدث في بداية الدعوة الفاطمية– لا يفصحون باسم الإمام إلا بعد نجاحهم فيما سعوا إليه.

وهناك ثانٍ، دافع عن ابن العلقمي، واعتبر أن تآمر الوزير مع المغول؛ لينصب علويًا لخليفة للمسلمين، بدلًا من المستعصم، أمر مردود؛ خاصة أن المغول قد قتلوا العديد من العلويين، ومنهم: السيد شرف الدين بن الصدر العلوي، كما قتلوا نقيب مشهد موسى الكاظم، وأحرقوا المشهد نفسه، يضاف إلى ذلك: كيف يرضى العلويون بتنصيب أحدهم خليفة للمسلمين من قبل المغول الوثنيين...(٣)؟

→→→

(١) اليونيني: ذيل مرآة الزمان، مج ١، ص ٩٠. الذهبي: تاريخ الإسلام، جـ ٤٨، ص ٤٠. السيوطي: أخبار الخلفاء، ص ٧١٨. ابن العماد الحنبلي (شهاب الدين أبوالفلاح عبدالحي ت ١٠٨٩ هـ/ ١٦٧٨ م): شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق: محمود الأرناؤوط، دار ابن كثير، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ/ ١٩٩١م، مج ٧، ص ٤٧٠.

(٢) محمد عيدان العبادي: ابن العلقمي ودوره السياسي، ص ١٩٧.

(٣) جعفر حسين خصباك: العراق في عهد المغول الإيلخانيين، ص ٣٨.

أما عن قتل المغول للعديد من العلويين، فهو أمر قد أقر به مؤرخو السنة، فقد ذكروا أن ابن العلقمي "لم يتم له ما أراد، وما اعتقد أن التتر يبذلون السيف مطلقًا، فإنه راح تحت السيف الرافضة والسنة"(١).

ولا شك أن هذا يعود إلى سوء تقدير ابن العلقمي، الذي وضع يده في يد المغول الذين لم يكن لهم عهد ولا ميثاق، وهناك العديد من الشواهد السابقة على ذلك، والتي لم يضعها ابن علقمي في حسبانه آنذاك.

أما عن تعجبه وسؤاله: كيف يرضى العلويون بتنصيب أحدهم خليفة من قبل الوثنيين؟ فقد ذكرنا من قبل أنهم –وباعترافهم– وضعوا أيديهم في أيدي هؤلاء الوثنيين أنفسهم، بل وأخبروه ببشرى مزعومة، جعلتهم يقبلون عليه، ويطلبون الأمان بين يديه.

ولم تنتهِ دفاعات الشيعة عن ابن العلقمي بعد، إذ يذكر ثالث أن ما قيل عن نقل الخلافة إلى العلويين افتراء، وأنه لم يكن للشيعة أي مرشح؛ معللًا ذلك بأنهم وإن أنكروا الخلافة العباسية، لكنهم لم يكونوا يعارضون مملكة عباسية، إذا كانت تضمن الحريات الدينية، ولو بأقل مما ضمنته قبلهم الحكومة الشيعية (يقصد الفاطميين) في مصر(٢).

وعند تحليل هذه العبارات، نجد أنها لا تمت للواقع بصلة، إذ إن مسألة ضمان الحريات الدينية لم يعول عليها الشيعة كثيرًا طوال تاريخهم، بقدر تعويلهم على القاعدة الأساسية التي بنيت عليها مذهبهم، وهي ولاية الخلافة لأحد العلويين،

---

(١) الذهبي: تاريخ الإسلام، جـ ٤٨، ص ٣٧. الغساني: العسجد المسبوك، جـ ٢، ص ٦٤١. ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، جـ ٧، ص ٤٧.

(٢) الطهراني: طبقات أعلام الشيعة، جـ٤، ص ١٥٢.

خاصة في ظل ادعاءاتهم بأنهم الأحق بالخلافة؛ وهو ما يدحض عدم معارضتهم للخلافة العباسية كما ذكر.

خامساً: قتل الخليفة العباسي المستعصم بالله:

ذكر الهمذاني أن هولاكو تشاور مع أركان دولته في أمر الزحف إلى بغداد، فأخذ كل منهم يبدي رأيه، ثم طلب حسام الدين المنجم[1]، ليختار وقت النزول والركوب، فأخبره بأنه ليس ميمونًا قصد الخليفة والزحف إلى بغداد؛ إذ إن كل ملك – حتى زماننا هذا– قصد بغداد والعباسيين، لم يستمتع بالملك والعمر، وأخبره إن حدث هذا فستظهر ستة أنواع من العناء، هي: أولها: موت جميع الجنود، ثانيها: أن الشمس لا تطلع، ثالثها: أن المطر لا ينزل، رابعها: تهب ريح صرصر، وينهار العالم بالزلزال، خامسها: لا ينبت النبات في الأرض، وسادسها: أن الملك الأعظم يموت في هذه السنة، ثم استدعى بعد ذلك نصير الدين الطوسي، واستشاره، فخاف، وظن أن هذا الأمر على سبيل الاختبار، فأخبره بأنه لن يقع شيء من هذه الأحداث، وأن هولاكو سيحل محل الخليفة، ثم أحضر هولاكو حسام الدين المنجم؛ ليتباحث معه، فقال نصير الدين: لقد استشهد جمع كثير من الصحابة باتفاق آراء الجمهور وأهل الإسلام، ولم يحدث شيء، ولو قيل: إن للعباسيين مكرمة خاصة بهم، فإن طاهرًا جاء من خراسان بأمر المأمون، وقتل أخاه محمد الأمين، وقتل المتوكل ابنه بالاتفاق مع الأمراء... وقتل عدد من الخلفاء على يد جملة أشخاص، فلم تختل الأمور، فعقد

(١) كان حسام الدين المنجم آنذاك من أكابر المنجمين، وكان الخان منكوخان قد أوصى هولاكو بأن لا يخرج عن رأيه ومشورته. عباس العزاوي: تاريخ علم الفلك في العراق، ص ٢٢.

هولاكو النية على غزو بغداد[١]؛ واكتسب نصير الدين الطوسي مكانًا لائقًا؛ نظرًا لنجاح الهجوم طبقًا لرؤيته، واختفى اسم حسام الدين المنجم[٢].

وقد ذكر السبكي هذه الرواية بصورة مختصرة[٣]، كما أشار ابن تيمية صراحة إلى أن نصير الدين الطوسي هو الذي أمر بقتل الخليفة[٤]، في حين ذكر ابن كثير أن الوزير ابن العلقمي ونصير الدين الطوسي هما من أشارا بقتله، وأن ابن العلقمي قال لهولاكو: متى وقع الصلح على المناصفة لا يستمر إلا عامًا أو عامين، ثم يعود الأمر إلى ما كان عليه قبل ذلك، وحسَّنوا له قتل الخليفة[٥]، وهو ما أكده الذهبي حين ذكر أن الصلح كاد أن يتم بأن يكون للمغول نصف دخل العراق، فقال ابن العلقمي: بل المصلحة قتله، وإلا فما يتم لكم ملك العراق[٦].

وكعادة الشيعة، قاموا بالدفاع عن نصير الدين الطوسي، حيث ذكروا أن المنصفين من المؤرخين، نفوا هذا الاتهام عنه، ورأوا أنه لا يصدر من شخص مثل نصير الدين، الذي كان حكيمًا وفاضلًا وكريمًا[٧]، وأخذ بعضهم يتهكم ويتعجب من أن هولاكو قائد الجيوش الجرارة، قاهر الدول، ومذل الملوك، تخلى فجأة عن سلطانه ليجعلها في يد رجل غريب، أسره بالأمس فيمن أسر من الرجال، وأن الذي أصبح

---

(١) جامع التواريخ (الإيلخانيون)، مج ٢، ج ١، ص ٢٧٨ – ٢٨١.

(٢) عباس العزاوي: تاريخ علم الفلك في العراق، ص ٣٣.

(٣) انظر طبقات الشافعية الكبرى، جـ ٨، ص ٢٧١.

(٤) مجموع الفتاوى، جـ ٣٥، ص ١٥١، ١٥٢.

(٥) البداية والنهاية، جـ ١٧، ص ٣٥٩.

(٦) الذهبي: سير أعلام النبلاء، جـ ٢٣، ص ١٨٣.

(٧) نصير الدين الطوسي (أبو جعفر محمد بن محمد بن الحسن ت ٦٧٢هـ/ ١٢٧٣م): تجريد الاعتقاد، تحقيق: محمد جواد الحسيني الجلالي، مكتب الإعلام الإسلامي، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م، ص ٢٣ (مقدمة المحقق).

يأمر وينهى، ويصدر أوامر القتل هو نصير الدين وليس هولاكو، واتهم ابن تيمية أنه لا يبالي أن يدافع عن الوثني الطاغية السفاك، ويبرئه من الأمر بقتل الخليفة، ويلصق ذلك بالمسلمين(١).

ولا شك أن هذا التهكم ليس في محله، فالكل يعلم بتلك المكانة التي حظى بها نصير الدين الطوسي لدى هولاكو، إذ يذكر البعض أنه كان ذا حرمة وافرة، ومنزلة عالية عند هولاكو، وكان يطيعه فيما يشير به عليه، واحتوى على عقله، حتى إنه لا يركب ولا يسافر إلا في وقت يأمر له(٢).

ولعله بمقارنة بسيطة بين ما حدث للخليفة المستعصم وما حدث مع علاء الدين الجويني(٣) يتضح الأمر، إذ يذكر أن هولاكو غضب على علاء الدين وأمر بقتله، فجاء أخوه إلى نصير الدين وأخبره، فقال: إن هذا القان إن أمر بأمر لا يمكن رده، فقال له: لا بد من الحيلة في ذلك، فتوجه نصير الدين إلى هولاكو، وفي يده عكاز وسبحة واصطرلاب، وخلفه من يحمل مبخرة وبخورًا ونارًا، فلما وصل أخذ يزيد في البخور، ويرفع الاصطرلاب ناظرًا فيه، ويضعه، ثم أخذ يسأل خاصة هولاكو عنه مرارًا، ويسجد شكرًا لله، فلما أُدخل عليه ورآه، سجد وأطال السجود، ثم أخبر هولاكو بأن الطالع اقتضى أن يحدث له أمر عظيم، وأنه لما فعل ما فعل، ودعى بأدعية، صرف الله عنه ذلك، وأنه ينبغي عليه أن يكتب إلى سائر ممالكه بإطلاق من في

---

(١) حسن الأمين: الإسماعيليون والمغول ونصير الدين الطوسي، ص ١٢٩.

(٢) الكتبي: فوات الوفيات، جـ ٣، ص ٢٤٧ – ٢٥٠.

(٣) علاء الدين الجويني: هو عطا ملك بن محمد بن محمد، صاحب الديوان الخراساني، أخو الصاحب الكبير شمس الدين؛ كان إليهما الحل والعقد في دولة أبغا، ونالا من الجاه والحشمة ما يتجاوز الوصف، توفي علاء الدين سنة ٦٨١هـ/ ١٢٨٢م. الكتبي: فوات الوفيات، جـ٢، ص٤٥٣.

الاعتقال، والعفو عمن له جناية؛ لعل الله يصرف هذا الحادث العظيم، فأمر هولاكو بذلك، وخرج علاء الدين الجويني في جملة من خرج(١).

فهذا يبين كيف استطاع نصير الدين أن يخلص من أراد تخليصه بالحيلة، ودون أن يشعر هولاكو، فكيف بخليفة المسلمين الذي كانت مهابة الإقدام على قتله مازالت قائمة، بل وقواها في نفوسهم حسام الدين المنجم؟

أما ما ذكر من أن هذه الأمر تبرئة لهولاكو، وإلصاق للتهمة بأحد المسلمين، فهو أمر مردود، فما ذكره المؤرخون عن نصير الدين الطوسي، لا يبرئ هولاكو من مسألة قتل الخليفة، كما أن شناعة الإقدام على هذا الأمر تزيد عند مشاركة أحد المسلمين فيها.

وفي سبيل تبرئة نصير الدين الطوسي، أخذ الشيعة يذكرون أنه كانت له مواقف مشرفة في الحد من القتل والدمار الذي شاع في بغداد إثر دخول المغول حاضرة الخلافة العباسية، وأنه أشار على هولاكو بإيقاف القتل، والحد من عملية الإبادة، فأنقذ بذلك البقية الباقية من المسلمين، ثم وجه اهتمامه –بعد ذلك– إلى إنقاذ التراث الإسلامي، وإحياء ما ضاع منه، كما اتصل بالمدن المجاورة كبغداد والحِلَّة، وتمكن من حمايتها من عبث المغول(٢)؛ وبذلك كان له الفضل في أن بعض المدن لم يكن مصيرها مصير بخارى وسمرقند، وكل ما كان في طريق جنكيزخان من مدن، حرقًا واستباحة وتدميرًا وأسرًا وانتهاكًا(٣).

---

(١) الكتبي: فوات الوفيات، جـ٣، ص ٢٤٧، ٢٤٨.

(٢) نصير الدين الطوسي: تجريد الاعتقاد، ص ٢٤ (مقدمة المحقق).

(٣) حسن الأمين: الإسماعيليون والمغول ونصير الدين الطوسي، ص ٢٩٢، ٢٩٣.

إن هذه العبارات إذا وضعت في الاعتبار، فإنها –بلا شك– ترد على هؤلاء الذين تهكموا، واعتبروا أن نصير الدين الطوسي كانت له الكلمة الأولى في قتل الخليفة، وأنه أصبح يأمر وينهى بدلًا من هولاكو، فكيف بهم هنا، وقد ذكروا أنه هو من أشار على هولاكو بإيقاف القتل، والحد من الإبادة!!

أما ما قيل من أن بغداد لم يكن لها مصير المدن الأخرى مثل بخارى وسمرقند، فلا شك أن هذه العبارات تسقط إذا علمنا أن عدد القتلى في بغداد بلغ ألف ألف وثمانمائة[١]، حتى وإن كانت هذه الأعداد على سبيل المبالغة، فهي تبين كثرة أعداد القتلى على أيدي المغول.

وأما إنقاذه للتراث الإسلامي، وإحياء ما ضاع منه، فيكفي القول بأن المغول عطلوا الحياة الفكرية والثقافية نحوًا من قرن كامل في المناطق التي اجتاحوها[٢].

سادساً: دفاع ابن الطقطقا عن خيانة ابن العلقمي:

أراد ابن الطقطقا أن يدافع عن مؤيد الدين بن العلقمي، ويسوق دليل براءته، فساق دليل الخيانة، حيث ذكر أن بعض الناس اتهمه بأنه خامر أي خان، فنفى عنه ذلك، وقال بأن "من أقوى الأدلة على عدم مخامرته، سلامته في هذه الدولة، فإن السلطان هولاكو لما فتح بغداد، وقتل الخليفة سلَّم البلد إلى الوزير، وأحسن إليه، وحكمه، فلو كان قد خامر على الخليفة؛ لما وقع الوثوق إليه"[٣].

---

(١) اليافعي: مرآة الجنان، جـ ٤، ص ١٠٦.

(٢) روم لاندو: الإسلام والعرب، ترجمة: منير البعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م، ص ١٠٥.

(٣) الفخري في الآداب السلطانية، ص ٣٣٨.

ومع اتفاق المؤرخين على أنه في نفس اليوم الذي قتل فيه الخليفة، أرسلوا إلى بغداد مؤيد الدين بن العلقمي؛ ليقوم بالوزارة، وفخر الدين الدامغاني؛ ليكون صاحب الديوان، وجعلوا على بهادر شحنة عليها[١]، إلا أن المؤرخين السنة والشيعة اختلفوا في نهايته، ففي حين ذكر بعض الشيعة بأنه توفى بعد سقوط بغداد بيد المغول بعدة أشهر[٢]، ذكر البعض أنه توفي في ظروف غامضة بعد ثلاثة أشهر من الغزو المغولي[٣].

أما مؤرخو السنة، فقد ذكروا أنه لم يتم له ما أراد، وذاق من الذل والويل والهوان، ولم تطل أيامه بعد ذلك[٤]، وأنه كان ينشد فيقول: وجرى القضاء بعكس ما أملته[٥].

وقد ظل ابن العلقمي على الوزارة، ورتبته ساقطة عندهم[٦]، وعومل بأنواع الهوان من أراذل المغول، حتى قيل إنه كان جالسًا بالديوان، فدخل عليه بعض المغول، مما ليس له وجاهة، راكبًا فرسه، فسار إليه إلى أن وقف بفرسه على بساط

(١) الهمذاني: جامع التواريخ (الإيلخانيون)، مج ٢، ج ١، ص ٢٩٥. ابن الفوطي: الحوادث الجامعة، ص ٢٣٧. تاريخ البناكتي، ص ٤٥١.

(٢) الطهراني: طبقات أعلام الشيعة، جـ٤، ص ١٥٠، ١٥١.

(٣) محمد عيدان العبادي: ابن العلقمي ودوره السياسي، ص ١٨٠.

(٤) اليونيني: ذيل مرآة الزمان، جـ ١، ص ٨٩. الذهبي: سير أعلام النبلاء، جـ ٢٣، ص ١٨١. السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص ٧١٦.

(٥) ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب، مج ٧، ص ٤٧٠.

(٦) ابن خلدون (عبدالرحمن بن خلدون ت ٨٠٨ هـ/ ١٤٠٦ م): تاريخ ابن خلدون، تحقيق: خليل شحادة، دار الفكر للطباعة، بيروت، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م، ج ٥، ص ٦١٣.

الوزير، وخاطبه بما أراد، ويال الفرس على البساط، وأصاب الرذاذ ثياب الوزير، وهو صابر لهذا الهوان، يظهر قوة النفس(١).

كما يُحكى أن إمرأة رأته وهو راكب في أيام المغول برذونًا، وسائق يضرب فرسه، فوقفت إلى جانبه، وقالت: يا ابن العلقمي، هكذا كان بنو العباس يعاملونك؟ فوقعت كلمتها في قلبه، وانقطع في داره، وإلى أن مات كمدًا(٢).

ويذكر الجوزجاني (ت ٦٨٥هـ/ ١٢٨٦م) أنه حينما فرغ هولاكو من أمر بغداد، وقتل المسلمين، قال للوزير: فما كانت نعمتك ودولتك؟ قال الوزير: من دار الخلافة، قال هولاكو: بما أنك لم تحفظ حق نعمة أرباب نعمتك، فإنك لا تصلح لخدمتي أيضًا، وأمر به فقتلوه(٣).

إن الشيعة عندما وجدوا أن استبقاء المغول لابن العلقمي في الوزارة يضعه في موضع الاتهام، أخذوا يدافعون عنه، واعتبروا أن ذلك لا يقوم حجة على خيانته؛ وذلك لأن هناك من عومل نفس المعاملة، وذكروا أنه من المحتمل أن يكون هولاكو قد أعجب به عند مقابلته له، نيابة عن الخليفة، فاستبقاه، كما أنه من الأرجح أن شفاعة نصير الدين الطوسي له كانت أهم سبب في نجاته(٤).

في حين أن هناك من رأى منهم أن المغول كانوا يعهدون بإدارة شؤون البلاد إلى أهل البلاد نفسها، فاختاروا من اختاروهم، وكان فيهم ابن العلقمي، وأن مقياس

---

(١) الكتبي: فوات الوفيات، مج ٣، ص ٢٥٣.

(٢) اليافعي: مرآة الجنان، جـ ٤، ص ١١٢. السبكي: طبقات الشافعية الكبرى، جـ ٨، ص ٢٧٤. ابن كثير: البداية والنهاية، جـ ١٧، ص ٣٨٠.

(٣) طبقات ناصري، ترجمة: ملكة علي التركي، ط. المركز القومي للترجمة، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٣٣هـ/ ٢٠١٢م، جـ٢، ص٢١٥.

(٤) جعفر حسين خصباك: العراق في عهد المغول الإيلخانيين، ص ٤١، ٤٢.

الاختيار هو تمرس الشخص الذي وقع عليه الاختيار في الأعمال الإدارية من قبل؛ لذلك اختاروا كبار رجال الدولة السابقين[١].

ومع وجاهة كل هذه التبريرات، إلا أنها لم ترد على التساؤل القائل: لماذا قبل ابن العلقمي وضع يده في أيدي المغول والتعاون معهم، والعمل تحت سلطتهم؟ وإذا كان هذا قد تم باعتراف مؤرخي السنة والشيعة معًا، فلا شك أنه يعد ضروبًا من ضروب الخيانة، فإذا أضفنا إلى ذلك بعض الدلائل الأخرى، والتي كان منها :

١- أن هولاكو أمر أن يُكتب على السهام بالعربية: إن الأركاونية والعلويين والدانشمدية، وبالجملة كل من ليس بقاتل فهو آمن على نفسه وحريمه وأولاده[٢]، ولعل في ذكره للعلويين صراحة ضمن من ذكرهم، ما يشير إلى بوادر الاتفاق بينهم وبين المغول.

٢- بالإضافة إلى ذلك، فإن المغول عندما دخلوا بغداد قتلوا جميع من قدموا عليه من الرجال والنساء والوالدان والشيوخ والشباب، ولم ينج منهم أحد سوى أهل الذمة من اليهود والنصارى، ومن التجأ إليهم وإلى دار الوزير ابن العلقمي، وطائفة من التجار الذين أخذوا لهم أمانًا، بذلوا عليه أموالًا جزيلة[٣]، وما عدا هذه الأماكن فإنه لم يسلم فيه أحد، إلا من كان في الآبار والقنوات[٤].

---

(١) حسن الأمين: الإسماعيليون والمغول ونصير الدين الطوسي، ص ٢٨٤.

(٢) ابن العبري (أبوالفرج غريغوريوس بن أهرون الملطي ت ٦٨٥ هـ/ ١٢٨٦م): تاريخ مختصر الدول، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م، ص ٢٣٧.

(٣) ابن كثير: البداية والنهاية، جـ ١٧، ص ٣٥٩، ٣٦٠.

(٤) ابن الفوطي: الحوادث الجامعة، ص ٢٣٦.

٣- وأخيرًا، فقد ورد أن هولاكو ضرب عنق مقدم جيشه بايجو نوين؛ لأنه بلغه عنه من الوزير ابن العلقمي أنه كاتب الخليفة المستعصم لما كان بالجانب الغربي من بغداد، وذلك عندما أمره هولاكو بالزحف إلى هناك(١).

فإذا ما تتبعنا هذه الروايات وجدنا أن هناك أمانًا للعلويين ولغيرهم إذا ما تركوا القتال، ثم جعل دار ابن العلقمي مكانًا أمينًا وحصنًا حصينًا لمن يلجأ، وكذلك مقتل أحد قادة المغول؛ لإبلاغ الوزير عنه، علمنا أن هناك اتفاقًا بينه وبين هولاكو، تسلم على إثره الوزارة، لكن سرعان ما تغير المغول على ذلك الوزير الخائن لخليفته، والذي ربما تحدثه نفسه بالقيام بذلك الأمر تجاه المغول.

(١) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، جـ ٧، ص ٤٧.

الخاتمة

بعد الانتهاء – بعون الله وتوفيقه – من كتابة هذا البحث، الذي تعرضت فيه لدراسة موضوع « موقف الشيعة من الغزو المغولي لبغداد سنة (٦٥٦ هـ/ ١٢٥٨م) من خلال الكتابات الشيعية »، أمكن التوصل إلى عدد من النتائج، من أهمها:

– تباينت كتابات الشيعة عند الحديث عن موقف الشيعة من الغزو المغولي لبغداد: ما بين الاعتراف ببعض المواقف، التي تؤكد تعاونهم معهم، ومحاولات لنفي تلك التهم عنهم.

– كان لمؤيد الدين بن العلقمي مكانة كبيرة لدى الشيعة؛ الأمر الذي جعل الشيعة يدافعون عنه، ويعملون على رد الاتهامات التي وُجهت إليه؛ إذ إن في دفاعهم عنه دفاع عن كبار رجالهم.

– أن هناك من الشيعة من ذهب إلى هولاكو، وأعلنوا دخولهم في طاعته، وولائهم له، بل وقام أحدهم بتأليف كتاب "البشارة"، وأهداه إليه، بل ووصل بهم الأمر إلى إبلاغه بأن علي بن أبي طالب – رضي الله عنه – تحدث عنه، وأخبر بشجاعته، وشقاء من ناوأه، ووقف في وجهه.

– بلغ الشيعة في تأييدهم للمغول، ومساعدتهم لهم، أن أحدهم أصدر فتواه، بتفضيل الحاكم الكافر العادل على المسلم الجائر، والتي كان الغرض منها كسب رضى المغول وزعيمهم.

– أن نصير الدين الطوسي هو من قام بكتابة رسالة إلى أمير حلب، والتي كانت تفيض بالتهديد والوعيد، يطلب فيها التسليم للمغول، وعدم مواجهتهم، ولا شك أن هذه الرسالة كان لها أثرها البالغ في النفوس.

– أظهر الشيعة – من خلال كتاباتهم – فرحهم وسرورهم بسقوط الخلافة العباسية، في الوقت الذي ظهرت فيه عبارات الثناء والمدح للمغول، وعبارات التعظيم والتمجيد، والدعاء بحفظ دولتهم.

– أظهرت الدراسة أن ثناء المؤرخين السُّنة على ابن العلقمي، لم يكن خلطًا أو تناقضًا، ولم يكن – بأي حال – دليلًا على براءته، كما أشار بعض مؤرخي الشيعة إلى ذلك، ولكن الواضح – من خلال النصوص – أنهم أثنوا عليه من الناحية السياسية والأدبية، ولكن لم يمنعهم ذلك من الحديث عن خيانته، وتواطئه مع المغول، عندما أقدم على هذا الفعل المشين.

– كان لابن العلقمي دور كبير في إقناع الخليفة العباسي المستعصم بالله بتسريح الجيش، وإرسال الأموال التي كانوا يتحصلون عليها إلى المغول، مستغلًا – في ذلك سلطته، وضعف الخليفة.

– سقوط دفاع الشيعة، ومحاولة تبرئة أنفسهم من محاولة القضاء على الخلافة العباسية، ونقل الخلافة إلى العلويين، خاصة أن هذا الأمر يُعد مبدأ أساسيًا، قامت عليه الدعوة الشيعية منذ بدايتها.

– بيَّنت الدراسة ذلك الدور الذي قام به نصير الدين الطوسي في قتل الخليفة المستعصم العباسي، خاصة في ظل تلك المكانة التي حظي بها لدى المغول، وما قام به من تخطئة حسام الدين المنجم، وتأكيده بعدم حدوث ضرر للمغول في حال قتلهم له.

– أظهرت الدراسة أن دفاع ابن الطقطقا (ابن طباطا العلوي) عن ابن العلقمي هو نفس دليل الخيانة؛ إذ إنه اعتبر أن ابن العلقمي لو كان قد صدرت منه الخيانة، لما جرى الوثوق به من المغول، غير أن روايات المؤرخين السنة والأحداث والدلائل التاريخية، تؤكد عكس ذلك.

قائمة المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.

أولًا: المصادر العربية والمترجمة:

البغدادي (صفي الدين عبد المؤمن بن عبد الحق ت ٧٣٩هـ/ ١٣٣٨م):

- مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ/ ١٩٩١م.

البناكتي (أبو سليمان داود بن محمد البناكتي ت٧٣٠هـ/ ١٣٣٠ م):

- روضة أولي الألباب في معرفة التواريخ والأنساب، المعروف بـ"تاريخ البناكتي"، ترجمة: محمود عبد الكريم علي، ط. المركز القومي للترجمة، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م.

التستري (القاضي نور الله المرعشي ت ١٠١٩ هـ):

- مجالس المؤمنين، دار هشام، بدون تاريخ.

ابن تغري بردي (جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن تغري بردي ت ٨٧٤ هـ/ ١٤٦٩م):

- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م.

ابن تيمية (أبو العباس تقي الدين أحمد بن عبدالحليم ت ٧٢٨هـ/ ١٣٢٨م):

- مجموع الفتاوى، تحقيق: عبد الرحمن محمد قاسم، محمد عبد الرحمن محمد قاسم، ط. مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، السعودية، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م.

– منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية، تحقيق: د/ محمود رشاد سالم، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.

الجوزجاني (أبو عمر منهاج الدين عثمان ت ٦٨٥ هـ/ ١٢٨٦ م):

– طبقات ناصري، ترجمة: ملكة علي التركي، ط. المركز القومي للترجمة، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٣٣هـ/ ٢٠١٢م.

حاجي خليفة (مصطفى بن عبد الله القسطنطيني العثماني ت ١٠٦٧ هـ/ ١٦٥٧م):

– سلم الوصول إلى طبقات الفحول، تحقيق: محمود عبد القادر الأرناؤوط، مكتبة إرسيكا، إستانبول، ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م

ابن أبي الحديد (عز الدين عبدالحميد المدائني ت ٦٥٦ هـ/ ١٢٥٨ م):

– شرح نهج البلاغة، تحقيق: محمد إبراهيم، دار الكتاب العربي، بغداد، الطبعة الأولى، ١٤٢٨ هـ/ ٢٠٠٧م.

الحلي(أبو منصور الحسن بن يوسف بن المطهر الأسدي ت ٧٢٦ هـ/١٣٢٦م):

– إرشاد الأذهان إلى أحكام الإيمان، تحقيق: فارس الحسون، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، إيران، الطبعة الأولى، ١٣١٠ هـ/ ١٨٩٣ م.

– نهج الحق وكشف الصدق، تحقيق: عبد الله الحسني الأرموي، منشورات دار الهجرة، قم، إيران، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.

ابن خلدون (عبدالرحمن بن خلدون ت ٨٠٨ هـ/ ١٤٠٦ م):

– تاريخ ابن خلدون، تحقيق: خليل شحادة، دار الفكر للطباعة، بيروت، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م.

الذهبي (شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان ت ٧٤٨ هـ/ ١٣٤٧ م):

– تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق: عمر عبدالسلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٩ هـ/ ١٩٩٩م.

– سير أعلام النبلاء، تحقيق: بشار عواد معروف، محيي هلال السرحان، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٥ هـ/ ١٩٨٥ م.

رضي الدين علي بن طاووس (أبو القاسم علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن طاووس ت ٦٦٤ هـ/ ١٢٦٦م):

– إقبال الأعمال، تحقيق: حسين الأعلمي، مؤسسة الأعلمي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م.

– كشف المحجة لثمرة المهجة، منشورات المطبعة الحيدرية، النجف، ١٣٧٠هـ/ ١٩٥٠م.

الزبيدي(محمد مرتضى الحسيني الزبيدي ١٢٠٥هـ/ ١٧٩٠م):

– تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: محمود محمد الطناحي، مطبعة حكومة الكويت، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م.

السبكي(تاج الدين أبو النصر عبدالوهاب بن علي ت ٧٧١ هـ/ ١٣٧٠م):

– طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق: عبد الفتاح محمد الحلو، محمود محمد الطناحي، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، بدون تاريخ.

السيوطي (جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر ت ٩١١ هـ/ ١٥٠٥ م):

– تاريخ الخلفاء، ط. وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، قطر، الطبعة الثانية، ١٤٣٤هـ/ ٢٠١٣م.

أبو شامة (شهاب الدين أبو محمد عبدالرحمن بن إسماعيل ت ٦٦٥هـ/١٢٦٧م):

– تراجم رجال القرنين السادس والسابع المعروف بـ" الذيل على الروضتين "، محمد زاهد بن الحسن الكوثري، دار الجيل، بيروت، الطبعة الثانية،١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م.

شمس الدين الأصفهاني (٧٤٩ هـ/ ١٣٤٨م):

– تسديد القواعد في شرح تجريد العقائد، تحقيق: د/ خالد حماد العدواني، دار الضياء للنشر، الكويت، الطبعة الأولى، ١٤٣٣هـ/ ٢٠١٢م.

ابن الطقطقا (محمد بن علي بن طباطبا العلوي ت ٧٠٩ هـ/ ١٣٠٩م):

– الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية، دار صادر، بيروت، بدون تاريخ.

ابن العبري (أبو الفرج غريغوريوس بن أهرون الملطي ت ٦٨٥ هـ/ ١٢٨٦م):

– تاريخ مختصر الدول، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م.

العصامي المكي (عبدالملك بن حسين بن عبدالملك الشافعي ت١١١١هـ/ ١٦٩٩م):

– سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى،١٤١٩ هـ/١٩٩٨م.

ابن العماد الحنبلي (شهاب الدين أبو الفلاح عبدالحي ت ١٠٨٩ هـ/ ١٦٧٨م):

– شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق: محمود الأرناؤوط، دار ابن كثير، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ/ ١٩٩١م.

ابن عنبة (جمال الدين أحمد بن علي الحسني ت ٨٢٨ هـ/ ١٤٢٥م):

– عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب، المطبعة الحيدرية، النجف، الطبعة الثانية، ١٣٨٠هـ/ ١٩٦١م.

الغساني (الملك الأشرف الغساني ت ٧٦١ هـ/ ١٣٦٠م):

– العسجد المسبوك والجوهر المحكوك في طبقات الخلفاء والملوك، تحقيق: شاكر محمود عبدالمنعم، دار البيان، بغداد، ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م.

أبو الفدا (عماد الدين إسماعيل بن علي ت ٧٣٢هـ/ ١٣٣١ م):

– المختصر في أخبار البشر، تحقيق: محمد زينهم عزب، يحيى سيد حسين، دار المعارف، القاهرة، بدون تاريخ.

الفراء (أبو يعلي محمد بن الحسين ت ٤٥٨ هـ/ ١٠٦٦م):

– الأحكام السلطانية، تحقيق: محمد حامد الفقي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م.

ابن الفقيه (أبو عبد الله أحمد بن محمد بن إسحاق الهمداني (ت ٣٦٥هـ/٩٧٦م):

– كتاب البلدان، تحقيق: يوسف الهادي، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٦ هـ/ ١٩٩٦م.

ابن الفوطي (كمال الدين أبو الفضل عبدالرزاق بن أحمد ت ٧٢٣ هـ/ ١٣٣١م):

– الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة، تحقيق: مهدي النجم، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.

الكتبي (محمد بن شاكر ت ٧٦٤هـ/ ١٣٦٢م):

– فوات الوفيات والذيل عليها، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، بدون تاريخ.

ابن كثير (عماد الدين أبو الفدا إسماعيل بن عمر ت ٧٧٤ هـ/ ١٣٧٢م):

– البداية والنهاية، تحقيق: عبدالله عبدالمحسن التركي، هجر للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨ م.

الماوردي (أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب ت ٤٥٠ هـ/ ١٠٥٨م):

– الأحكام السلطانية والولايات الدينية، تحقيق: د/ أحمد مبارك البغدادي، دار ابن قتيبة، الكويت، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م .

نصير الدين الطوسي(أبو جعفر محمد بن محمد بن الحسن ت ٦٧٢هـ/١٢٧٣م):

– تجريد الاعتقاد، تحقيق: محمد جواد الحسيني الجلالي، مكتب الإعلام الإسلامي، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.

الهمذاني (رشيد الدين فضل الله الهمذاني ت ٧١٨هـ/ ١٣١٨م):

– جامع التواريخ (الإيلخانيون)، ترجمة: محمد صادق نشأت وآخرين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٤٤١هـ/ ٢٠١٩م.

ابن الوردي (زين الدين عمر بن الوردي ت ٧٤٩ هـ/ ١٣٥٨ م):

– تتمة المختصر في أخبار البشر، المعروف بـ" تاريخ ابن الوردي"، تحقيق: أحمد رفعت البدراوي، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٣٨٩هـ/ ١٩٧٠م،

اليافعي (أبو محمد عبدالله بن أسعد بن علي ت ٧٦٨ هـ/ ١٣٦٦م):

– مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، تحقيق: خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.

ياقوت الحموي (شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي ت ٦٢٦هـ/ ١٢٢٩م):

– معجم البلدان، دار صادر، بيروت، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م.

اليونيني (قطب الدين أبو الفتح موسى بن محمد ت ٧٢٦ هـ/ ١٣٢٦ م):

– ذيل مرآة الزمان، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن، الهند، ١٣٧٤ هـ/ ١٩٥٤م.

ثانياً: المراجع العربية والمترجمة:

آغا برزك الطهراني:

– طبقات أعلام الشيعة القرن السابع، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٣٠ هـ/ ٢٠٠٩م، جـ٤ (الأنوار الساطعة في المائة السابعة).

آية الله السيد جعفر بحر العلوم:

– تحفة العالم في شرح خطبة المعالم، تحقيق: أحمد علي مجيد الحلي، شركة الأعلمي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٣٣هـ/ ٢٠١٢م.

جعفر حسين خصباك (دكتور):

– العراق في عهد الملوك الإيلخانيين (٦٥٦ – ٧٣٦هـ/ ١٢٥٨ – ١٣٣٥م)، مطبعة العاني، بغداد، الطبعة الأولى، ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م.

حسن العطار (الشيخ):

– حاشية العطار على جمع الجوامع، دار الكتب العلمية، بيروت، بدون تاريخ.

خير الدين الزركلي:

– الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الخامسة عشرة، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

روم لاندو:

– الإسلام والعرب، ترجمة: منير البعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م.

عباس العزاوي:

– تاريخ علم الفلك في العراق وعلاقاته بالأقطار الإسلامية والعربية في العهود التالية لأيام العباسيين، مطبعة المجمع العلمي العراقي، ١٣٧٨هـ/ ١٩٨٨م.

عمر رضا كحالة:

– معجم المؤلفين، مكتبة المثنى، بيروت، بدون تاريخ.

محسن الأمين:

– أعيان الشيعة، تحقيق: حسن الأمين، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

حسن الأمين:

– الإسماعيليون والمغول ونصير الدين الطوسي، مركز الغدير للدراسات الإسلامية، قم، إيران، الطبعة الثانية، ١٤١٧ هـ/ ١٩٩٧م.

محمد باقر الأصبهاني الخوانساري:

– روضات الجنات في أحوال العلماء والسادات، الدار الإسلامية، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م.

محمد عيدان العبادي:

– ابن العلقمي ودوره السياسي، المجمع العالمي لآل البيت، قم، إيران، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م.